

إبراهيم عبد المجيد

# بيت الياسمين

رواية



منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

بيت الياسمين

رواية

# بيت الياسمين

رواية

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

دار و مطابع المستقبل  
بالقجالة والامكندية

جميع الحقوق محفوظة

منتديات مكتبة العرب

**<http://library4arab.com/vb>**

الطبعة الأولى ١٩٨٦

الطبعة الثانية ١٩٩٣

أخرج الناس من تركة الممودة جنة في جبال ما أن لصحرة حتى  
وجدوا أمامهم امرأة ميرة الجمال تدب فيها الروح شيئا فشيئا وهم  
يراجعون من حولها في فرع حي وقتت عموداً من نار لصقوا  
وساقطوا بين ميت ومغنى عليه بيها صارت تروح في الشوارع  
عامة شعرها الأصفر يطير عاليا وكل من ينظر إليها التجاذب وصار  
يجري خلفها ولا يعثر له أحد على أثر ....

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« ١ »

لم أفكر في ذلك من قبل ولا غصت له . منذ ابتداء الأوتوبس بالستين  
عاملا وخرج من باب الشركة وأنا أتساءل لماذا اختاروني . لم أجد ميبا  
بحريني ، ولا ميبا يشجعني . تقدم الأوتوبس في شارع المكس ، وتجاوز  
منطقة القبلي ، ثم كفر عسري ، فميناء البصل ، ودخل في شارع السبع  
بنات ، وأنا لا أكلم أحدا ولا يكلمني . كيف لم أشعر بالطريق ؟ .  
مسافة قصيرة حقا لكنها مميزة ، فعندما يتقاطع شارع المكس لابد تتعطل

المركبات ويزدحم التقاطع بعربات الكارو والنقل والمقنورات والأوتوبيسات والترام وتسمع صرخة امرأة . تنتهي فجأة هدأة شارع المكس واستكانة المباني التي على الجانبين ، تلك التي تعطيك دائما الإحساس بأنك تمشي وحدك وبالليل . وبعد التقاطع اللعين لا تكف الضجة عن مطاردتك . ما تكاد تفصل إلى كوبري الناري حتى تكون رائحة الحبش والقطن المخزون قد غزتك ، رائحة مكبوتة تختلط برائحة الفلال المخزونة أيضا في مخازن بنك التسليف العتيقة ، وترى رجلا يتبول واقفا ووجهه إلى جدار المخازن ، ورجلا يتفوط ووجهه إلى الطريق . تتحول الأرض إلى قطع صخرية فلا يكف الأتوبيس عن الاهتزاز ، ولا الترام التي تكون في العادة جوارك عن الكركرة . لكنك حين تصل إلى تقاطع مينا البصل حيث يلتقي شارع الخديوي مع شارع السبع بنات يصبح المكان وطبا منعشا لارتفاع المباني ، ولانفتاح شارع الخديوي واتساعه على الميناء ، وتستطيع أن تنام غير مبال بشيء . لكننا نجاوزنا هذا كله ..

وقفت نكاد رأسي بصطدم بالسقف . إغثت قليلا وتطلعت إلى وجوههم . لصنهم الغريب كدنت أشتهم . إنست . الاسكندرية في هذا الوقت من كل عام تكون واسعة بالقضوء المهر . يرتاح بحرهما في لا مهالة ، وتفتح البيوت نوافلها كإمرأة تحفف شعرها تحت ضوء الشمس ، والفنيات تمرحن في الشوارع .

كنت أعرف أن الزحام لنفاجيء المتمد من محطة سيدى جابر حتى قصر رأس التين الأبيض إن يضر المدينة . أن يشوه منظرها . وها هي تبدل غير عابئة به . بعيد أنا الآن عن هذا الزحام ، لكن شارع السبع بنات كمادته مستكين للسيارات والمركبات التي ترح في ، والدكاكين مفتوحة بلا ضجة أمامها . سمعت في الأيام التالية أحد الذين شاركوا في الزحام يقول أنه اختفى بسرعة ، وأنا بدوري أدعم شهادته ، وإلا ما معنى هذا الارتياح في شارع السبع بنات كأن ما يحدث في المدينة لا

يعنيه ؟ ! .. هذه المدينة الصغيرة مسجورة تطرد شواطئها حتى لو اختفى منها الزبلون وسيارات الرش الليلية . إتفاق بينها وبين أشياح مصرية أن تظل جميلة ..

قلت :

— طبعاً تعرفون أنه بعد الاستقبال سيأخذ كل منكم نصف جنيه . ؟

— .....

— ما رأيكم أن يأخذ كل منكم ربع جنيه وينصرف الآن ؟

ولابد أن ملاح وجهي تجهمت لأني شعرت بعيني تسلمان .

— يعني لا ترى نهكسون ؟

— أنت حر تراه لو لا تراه .

تسأل أحدهم ورد الآخر عليه .

استجاب السائق لأمرى فتوقف باسمنا وزل العمال ضاحكين . ولا أعتمد أن شرطي المرور المواقف عند نهاية الشارع أهم بأتوبيس يسد التقاطع مع سوق الحفانية ويعطل عبور المشاة وحركة الترام . أما أمي التي لابد كانت في باحة البيت الصغيرة تلقى للندجاج هفقات « النخالة » المنجونة بالماء ، فلا أظن أن قلبها خفق ، أو صدرها انقبض ، وأبناها ، صاحب الإسم الغريب ، يرتكب جريمة ...

\*\*\*

لم تتجاوز الواحدة ظهرا ووجدت نفسي على الرصيف أمام مبنى الكريستال الذي كنت جلست فيه لأتفرج . لقد مر الموكب ونسرب المزدحمون إلى الأزقة الجانبية المنفضة إلى النشبة ومحطة الرمل . القضاء أبيض رائق والبحر أزرق متمد والسماء عالية جدا وأنا ألقف وحدي كأنني أتيت بعد انتهاء العالم . كدنت أضحك حيث فكرت أنه يمكن أن تبدأ في دنيا جديدة . ليرقصت . صعب أن أكون النبي آدم ، وأصعب أن تخلو

الدنيا إلا منى .

الداحل المنقوس في اللحم القوي ، ومن فوق بلوزات خفيفة تضع تحتها  
السونيات .

— كاتشينو .

رفع التي عينيه . هل ثمة خطأ ما ؟ هل لأن طويل ؟ . هل لأن  
دخلت الليل وحدي ؟ . أكثر من شاب وثقة يتهامون في الأركان .  
وقت وحيد بين الشمس الخفى . اكتشفت أن عاجز عن التفت .  
أستبج الخفوات . وأكلف من ينظر التي أن يرفع عينيه عاليا ...

— باردو .

قالت التي كادت تصطدم في عند الباب وهي تدخل مندفة .  
تراجعت خطوة فأوشكت تقع من فوق درج الحبة . أمسكت بذراعها  
فانقرست أنامل في اللحم الطرى وغزنت رائحة العطر فبعزتي . فكرت  
أن ملاسى تطايرت وأحسست بأننى ينفسح . لإشربت صحيفة من  
جوار عمل ومضيت . برودة لحم الذراع الطرى في أنامل ، ولا أحرف ماذا  
يقول الوقف خلف جهاز القهوة عني وأنا أنصرف قبل أن يجهز لي  
قهوتي ..

\*\*\*

في شارع صفية زغلول أدركت أن قدمي هما اللتان تمشيان في . أحب  
هذا الشارع . ولا أحد أحب سينا وطميرا ، مثلي . تفتح دائما أبوابها  
مكرا فيخفى فيها العلية . لابد أنها تفعل ذلك حتى الآن . تجلس ساعة  
حتى يبدأ الليل . للأرض المنسولة رائحة أليفة . اللهبات غفافة الضوء  
على الجانبين متباعدة . ونور دورة إنياء مميز . للجلوس نظام تلقائي كأنما  
للمنارس انتقلت كاملة وليس طلاب متفرقين . وشقائم . تجارة محرم بك  
تحبى الصنایع . يعوض الله . يعوض الله . سبع صنایع في إيدنا وأهم مايل

لم أر الذين أصطفوا على الرصيف المجاور لسور الكورنيش يعبرون  
الشارع . ربما تراجعا وسقطوا في البحر . تحت رجلا وحيدا بعيدا عند  
النقطة التي ينحن فيها الكورنيش ويختفى ، وتحت السلالم العالية زاوية  
للنظر ، ويبدو لسان قلعة قاتيل كانه بارز منها . لعل الناس تابعوا  
الموكب إلى القصر والرجل الوحيد ذيلهم . لم يمض وقت طويل ليحدث هذا  
وما كان ليغيب عني .

ترايت في ابتسامة الرئيس العريضة للقمصة بالألتي . ابتسامة نيكسون  
المسلوبة بالدهشة ، ووجهه الأحمر بارز الوجنتين ، وقلوبه بلواحه الجني  
بطريقة عشوائية كأنه يدهن جداراً بعرض الفضاء .

كان على جانبي العربة المكشوفة السوداء ، العريضة مثل بطة عرافية ،  
أمريكيان ينظران عكس اتجاه الموكب ، لا تفارق عيونهما التوافد العالية ،  
ويد كل منهما على مسدس في جانيه . لماذا كان الذي ناحية البحر ينظر  
إلى أعلى أيضا وليس فوق الماء غير السماء ؟ .. أدخلت يدي في جيبى  
بنظروني . فذلت عقب السجارة من بين شفتي بنفثة ماهرة تعودها  
ومشيت أفكر في عقل الذي صار يعمل بشكل غريب .

\*\*\*

متون عاملا في ريع جنيه تعنى خمسة عشرة . نوفمبر في إثنا عشر .  
كنت فكرت أعطى السائق خمسة جنيهات . أدركت أن أى مبلغ  
سأأخذته يعنى مشاركته . أعطيته ثلاثة واتسمت من الخيف الذي  
أصابني فجأة ..

عبرت شارع الغرفة التجارية من عند رأسه فدخلت في شارع سعد  
زغلول . لاحظت منى لفته إلى اليسار فرأيتهم يشربون القهوة أمام محل البن  
البرازيل . اللقيات ترتدين جوارات محبوكة على أردانهم تبرز حر السروال

علينا . ثم ترم ترم . اسكنية الصناعية تحي العباية الثانية . يسقط  
المطر من السماء . يعيش السمك في الماء . العباية تحي التجارة .  
سيروساتس خان الشعب . سيروساتس خان الشعب . ونور دورة  
المياه محير . الوقت طويل حتى يبدأ الفيلم . وطني حيي . الجميع  
يغنون .. وطني الاكبر يوم ورا يوم أجمعه بتكبر وانتصاراته ماله حياته  
وطني يتكبر ويتهجر . وطني وطني . عاش الجبل الصايغ عاش ! ..

ويرتفع الصغور . وبدأ الفيلم الحقيقي ونور دورة المياه محير . بخار القطار  
ينطلق في يد مارلين مونرو ، وجاك نون بترك شفته للمعروف يأتي فيها  
بشوي ماكلين ، وراف فالون يغتصب صوفيا لورين في دكان الفحم ،  
وجينا لولو برجيلا تقفز أهل السمك مع تولى كوتس ، ويمرت لانكستر  
بيتسم ببلاهة أمام جاري كوبر ، وكوكو دوجلاس يمس بيده حزنا بطن  
جون سيمونز المتضخمة بابه ، إين سباراكوس ، وجاك سوناس يخطف  
روزانا بويستا يقوم حرب طرزة ، وستيف ريفو يخلع الشجرة يلقها  
أمام العربة التي جمع حصانها ، ويقول رجل غريب بيتنا جاءت جلسته  
جوازي أنه كان يعرف « هرقل » هذا معرفة حقيقية ولكنه تركه وذهب  
ليشتغل في السبا ، وباب دورة المياه محير يفتح وينلق كل دقيقة ووجهي  
للشاشة ، وحيواني يتجه إلى الباب . سخونة على فخذي وأبعاد بين ساق  
وأقوم . لست وحدي الذي يفتح دمه على بلاط دورة المياه . الرحام  
شديد وكل ينظر إلى الأرض في استغراق يخفي سرأ معلنا ليس أسمى إلا  
رؤوسا مهوشة الشعر . لماذا أتذكر تلك التفاصيل الحالية الآن . انتهى  
ذلك كله ولم أكن في حاجة إلى فرار أو إرادة . لم أعد أدخل السينما ولا  
تكررت في حيواني . هل من المعقول أني نسيت ؟ لا يجب أن يشغلني الآن  
ولأنظر إلى الأمام .

الشارع نظيف كما هو دائما . يحتاجني إحساسى القديم بأنه يلقى ،  
وبأنى الذى بينه وحددت بذلته ونهايته وأهملت على جانيه اللباني . هاهو

نفس هواء الصباح يروح فيه رقيقا له طعم ماء النبع . شمس الظهيرة  
كعادتها غصه بأوهن الأشعة وأنصعها . كأننى لم أمش فيه منذ  
سنوات ! . لماذا أدرك ذلك الآن فقط ؟

فكرت القى بالصحيفة في أول سلة مهملات كى أسير وحدي ..  
مشغول أنا الآن باصطياد الهواء المعطر بالنساء . تجرى عنفاى مع الأشعة  
فوق السيفان اللامعة . لن أجلس في مقهى البلياردو الواسع على  
الضجيج . كان عانى هو الفائز دائما . قابلته صديقة منذ ثلاث سنوات  
جوار « الدليل » . لم يكف عن الضحك كعادته . كيف يضحك  
« زائد » في الجيش بهذا القدر وسط ميدان عام ؟ . إلا أنى سعدت . لم  
يتجاهلنى . سألته هل لا يزال راشد يحفظ أغاني عبد الحليم ؟ قال أن  
راشد بعد أن تخرج من كلية الطب التحق بالجيش ولم يعد يراه ... الجيش  
كبير وواسع . وقال أن لا أحد يخرج من الجيش الآن .

— ألم تتحق بالجيش ؟

سأنى . قلت :

— أنا وحيد كما تعرف .

— إذن أنت مسؤول عن الحياة الداخلية .

هتف وضحك بلا حساب ومضى بعد أن قال أنه منذ زمن طويل لم  
يقف في محطة الرمل ، وإنما جاء هنا اليوم ليتصل بخطيبته التى فى  
القاهرة .

\*\*\*

— سكتوب .

— آسف .

نظرت إلى التادل الأسود الرشيق . لا أعرف شيئا آخر ولا أدري أن  
على الشصدة قائمة .



في • إيليت • يجتمع العشاق وتسمع فرقة الفيلات . كان هاني يحكي لنا قصصا خرافية . التحق بالكلية الحرة ليوقع أكبر عدد من الفتيات في غرامه . ما الذي دفعني إلى إيليت الآن ؟ ..

كنت وقت أيام سينا رباتو مشدوداً إلى التصور لمنطقة فوق شباك التذاكر . لم تزل حينها تسقيطاً تنوسطها بصدورها الذي يكاد يقفز بين يدي لكنني لم أعد أجمع هذا الصور الكارث بوسثال أمتحها معنى لدورة المياه في البيت . لم أعد أشرى أى صور كارث بوسثال ، والمصانع كفت عن وضع صور النساء العارية مع قطع الصابون .

لأبد أن الدولة هي التي أصدرت قراراً بذلك . لأبد أنها أيضا التي هورت أسماء وأنواع الصابون . لا تعرف الدولة أنني ابتعدت عن عادات السبعة دون قرار أو إرادة ...

لم ألق بالصحيفة بعد . تركتها تسقط جوار قنصى . غبت شاباً وقناة بتفرجان على صور الفيلم المعروف وقد تشابكت يدهما . يختلسان النظر إلى وهنهمسان ويتسمان . إلتحيت وتناولت الصحيفة . شعرت بألم في بطنى فعمرت الشارع إلى إيليت .

— ماذا لا يوجد سكلوب ؟

— لا يوجد بفض . نفذ فجأة .

— إذن جبرى . جبرى كبير ومشوى وبيرة .

ولم أراجع . على المناشد فتيات ناضرات بالفرح والإثارة ، وحيان أيضا ، والموسيقى حاملة كما يقولون . ماذا هذا الصمت بعد دخول . هذا الجو الرطب حنون حقا لكنه يفتح المسارب للنوم . لا قبيلات حنون ولا همس . أشعلت سيجارة ورأيت القائمة أمامى فحطت لقرأ أصناف الطعام . هل سيتكرر إخراج الشركات للعمال لتحية الرئيس . عزور الاسكندرية في السادس والعشرين من يوليو . يتقل نشاطه إليها غالبا في الصيف الآن . إذن فرصتى في اللذين يزورون الرئيس في الصيف .

لكن ... بالله ... لقد توترت العلاقات بين مصر وسوريا . بين مصر وليبيا . بين مصر والاتحاد السوفيتى . بين مصر والفلسطينيين . أربعة زعماء لن يزوروا مصر ، وقد يزبدون .

كان التادل قد وضع أمامى زجاجة البيرة وكنت مشربها . ألم في بطنى . شربت البيرة كأنها ماء ومعتق خافية . وسقت الجبرى والحة والتادل يتقدم به مسرعا . لم آر رؤوسا تشب خلف المناشد . لأبد الآن من قذف الطعام إلى جوف بسرعة . فكرت ولأبد أنه تفكير صحيح . طلبت زجاجة بيرة أخرى . فرصتى الأكميدة وحيدة هي السادس والعشرين من يوليو . ماذا لو نقل الرئيس نشاطه إلى الاسكندرية قبل هذا التاريخ ؟ لن تكون هناك استقبالات . لن يزور الاسكندرية وهو فيها . كل شيء إذن يعتمد على الخط . صداع خفيف ينتشر في رأسى ويتجمع قريبا فوق جبهتى . لم أشرب البيرة قبل اليوم !

نهضت بعد أن دفعت ستة جنيهات كاملة . نصف زبارة نيكسون . لقد دارت بالمدينة اشاعات عن السفن الأمريكية التي تفرغ السمن واللبن الجراف ، وبلغ من قوة الإشاعات أن قال حسين أمس أن سكان بحرى والأنفوشي محجوزون لأنفسهم ويحرمون منها بقية الشعب ... قبل أيضا أن جنود البحرية الأمريكية يوزعون الدولارات بالنشبة ، وأن طائرات الهليكوبتر تلقى بأجولة الدقيق الفاخر في مظلات من الحرير اليابالي ، وأن المظلة أفضل من الدقيق فقماشها ناعم يصنع سوتينات وكيلونيات لأنه من دود القز ... هذا كله كذب . الفائز الوحيد من زبارة نيكسون هو أنا ، حتى الآن على الأقل ، والكارثة ، أن الاسكندرية لا تعرف ذلك أيضا ، ولقد بددت نصف ما كسبته ، ولا يخفىنى إلا أن أسقط من الصداق والسكر ونقل الطعام . مقوطى سيكون مضحكا ومذموبا مثل مقوط عمارة الخاق ، لا يجب على الطويل أن يسكر أبدا . آه . ما الذى جعلنى أدور هذه الجولة . هل هكذا يفعل المصر ؟ . كنت فكرت اشتري حذاء

لأنى وجلبايا . لماذا نسيت ؟ ..

— مالك يا شجرة ؟

— لا شيء . فقط أفكر في الزواج .

\*\*\*

تجاوزت الساعة الثالثة والنصف وأنا أقف أمام باب « إيليت » . الخرج حار والعرق يغمرني وشارع صقبة زغلول يخلدني ويغليء بالوجه .  
— هل يمكن أن تصل في إلى « النخيلة » ؟  
— ممكن طبعا .

أجاب وضع باب التاكسي من الداخل واتسم . هل أطول أم لا أحتاج إلى الشديدة أم لراحة البرية من فمي ؟ تركت نفسي غير عافية هؤلاء الناس السعداء . تمت وأيقظني بعد أن تجاوزنا منطقة « المكس » . مسحت يدي العرق السائل على رقبتي . أعطيت جنينها كاملا . ضعف ما يستحقه فشكرني . أول ما واجهني من البيت الأرضية غير المبلطة ، والتي غطاها أنى منذ سبع سنوات بعلقة عشوائية من الأسمنت . خلعت ثياني وعلقتها على الشماعة التي فوقها كل ملابسى . ارتدبت البجامة ووجدت في أحد جيوبها قطعة فضية بخمسة قروش . متى وضعها ولماذا ؟ تمددت فوق السرير . لابد أن أمتى تفذت وحدها ولم تتطرقى فهي نائمة . أشعلت سيجارة وحاولت أن أنفث دخانها بهدوء وقوة وتركيز ليصل إلى السفن الخشبي فلم يصل . لابد أنى تركت الصحيفة في إيليت . فكرت في أن أبيع البيت ، وأتابع السياسة الخارجية في الصحف . ما هذا المياع الجنسي ؟ .

\*\*\*

رأيت أمتى تغف متعبة على باب الحجارة تتأملنى كأنها لا تصدق أنى دخلت البيت وحدى ! . قلت لنفسى لو يزور الرئيس الاسكندرنة في عيد الأم ..

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« بعد النكسة ظهر رجل يلحوق في شوارع القبارى ، حانيا  
 كتيف الذفن والشارب والشعر مهترىء الباب ويقف كثيرا  
 ليصبح « طر في الإمبراطورية البيطانية التي لا تصب عنها  
 الشمس » ويضرب كلباً معه يسميه جويسين . بعد عام ظهرت  
 معه كلبة يناديها بجاكلى ثم كلب اسمه أرتالت وازدادت الكلاب  
 تحمل أسماء برانت وميتر وأندرا ولورث كازدون وجولدا والزايث  
 ويوميلدر وغيرها . صارت مسورة مشهدة لتفجع له الفوائد  
 والشرفات ، وازدحم حمله الأطفال يصرخون « طر في الإمبراطورية  
 البيطانية التي لا تصب عنها الشمس » . يوان لا يساهم الناس  
 لهذا الرجل . يوم مات جونسون فسكرو وتحدث على الرصيف يركى  
 بحرقه وجهه كلبه فوق ساقه ، ولأنه كان مفي كلابه آخراً صارت  
 صرخ وصبح باحا مقطوعا بالفواق الذي لم يصور أحد أنه يصيها ،  
 ويوم مات الرجل نفسه الأبرج للأصى فمشت الكلاب وحدها  
 فصيح « طر في الإمبراطورية البيطانية التي لا تصب عنها  
 الشمس »

## « ٢ »

م يمر في يوم كتيب يارد على مثل اليوم التالي . في كل لحظة فكرت أن  
 أحدا أفاع ما فعلت فانتشر كما تدور الماكينات . أمصبت اليوم أنا والخوف  
 في مكنتى ، إلا أنى رأيت السائق والأمطى يوم « عد الانصراف ينف

مكتبات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

ببواب الإدارة يأملنى باسمها . صافحته وأحسست بالحلب محو هذا العجز  
دو الكرش الكبير ..



من خفى مررت الأيام كما دتها . حمل فى الصباح فى حجرة تضخم  
فيه الملمات وتشرى منى منيرة . وبالليل أُنصب الطلوة مع حستين وماجد  
وعبد السلام ولا يبرد ما أصداء . وما اخترنا . معنى الماسخ . بالقات  
لذلك ، فهى تطل على الشرق فترى الموصول الى « المعجم » ، والذي  
يفصل « الدخيلة البحرية » الأصلية للطلوة على البحر ، عن « الدخيلة  
الجنوبية » المستخلقة التى تولدت فى الليل . مكان الشطرين يفصلون  
مفاهيم القرية ، ومعنى الماسخ لا يجلس إلا عابرون ، وبعض طلاب  
صغار لا يجوبون الزحام ، يتغيرون لكن يرونا كباراً ولا يحتلون بنا . لقد  
عرفت على حستين منذ حوالى عام حين اشتركتا بالصدقة فى انقاذ خاة  
من الفرق . قال انه يسكن بالقبارى ويتردد على شاطئ الدخيلة منذ  
صباه ، وله هذا أصدقاء كثيرون لم يبق منهم غير ماجد الصبدل الذى  
عرفنى عليه فى نفس اليوم ، وتحدثنا كثيراً عن عبد السلام صديقهما  
المهندس الزراعى الذى يكاد يكمل العلم العاشر فى الحبش .

— ست سنوات مضت عليك فى الدخيلة ولا تعرف أحدا ؟  
سألنى حستين .  
أجبت :

— أخرج الى عمل وأعود صامتا لا اختلط بأحد قليلا ما خرجت الى  
الشاطئ .  
ابتسم وقال :

— كان فى شارعنا شاب منلك اعتقد الناس أنه مخبرك .

بعد شهرين من لقاءنا قامت الحرب . استدعى ماجد الى الاحتياط .  
عرفنا أنه فى الخطوط الخلفية مع الفرق الطبية ، ووجدت بعضى قدام مع  
حستين على عيد السلام الذى لم يؤه . أزداد قلقا حين عاد ماجد بعد  
انتهاء الحرب وعرفنا أن عيد السلام محاصر مع قوات الجيش الثالث . بعد  
ثلاث الحصار وعودته اندفعت احتضنته كما لو كنت أعرفه حقا ، وقلت له  
أننى منذ بداية الحرب أحلم أحلاما جنسية ، والعرب أن من يها حلما  
كحلمنا مع جولدا مائير .. ضحك كثيرا جدا ، لكننى والله لم أكن  
أكذب ..



إسلامت الاسكندرية بالزيارات خفرت أن العام قد در ولم أهم . دفنت  
مكرنى فى سح البيت ومشروعى فى الزواج . لا أهد أن أطل من بوندى  
لأنها تفتح على لا عجا إلا بسرقة كبرى وليس هذا عمل ولا لى قدرى ،  
أو السر الى بلد خطي وهو هجرى بسبب أمى . لكن الذكورى نقيب  
العمال الحبل صاحب الوجه قال لى : « مائير حامل هذه مرة ، عدد  
ضخم يجب أن تعرف كيف تسيطر عليه . لكل عامل حبه ونصف » .

تقرر أن أقف بهم يوم السادس والعشرين من يوليو على طريق جمال  
عبد الناصر عند محطة سيدى جابر حيث سينزل السادات من القطار  
احاصى متجها الى المعصرة . عند تقاطع شارع السبع بنات مع سوق  
اختفائية أوقفت الآتوبيسين . أعطيت كل عامل حبه واحد . استعرفت  
وقتا فاملا الشارع بالسيارات الصارخة ، وأصبح ميدان النشبة كالحجيم  
من زحام المركبات ، لكنى مر كل شئ بسلام . أعطيت الأسطى رسم  
الذى يصحبنى للمرة الثانية خمسة عشرة حبيبا ، وكذلك السائق الآخر  
الذى يصحبنى لأول مرة . أدرك ما فعلناه فضحك .

قلت :

— لا حياة

— لا حياة

وإصغروا مسرورين .

اليوم التالي يسألون ما إذا كانوا نسوا شيئاً عنده . وقال عبد السلام أنه وهو يركب القطار إلى رشيد كل يوم ذاهباً أو قادماً من عمله يلاحظ أن الناس تكاد تتشاجر عند الصعود أو الهبوط بالهطبات ، وما يكاد الصاعدون يدخلون العربة فيقفون أو يجلسون حتى يتسببهم صمت القطار . حزت أفرى على الذهاب إلى « المقدس يحيى » الذى يبيع السجاد والحصر دتراً بها على كتفه فى الأرقعة فهو معروف أيضاً كـ « مسنن » .

قلت لأنى « سوف أبيع البيت » . كنت مزملاً بريطانية خشنة أقرأ جريدة النساء التى عنوانها « بيوت تحترق » وكنا نسمع صخب طوارىء وصوت المطر الذى يضرب البيوت والطرقات بشراسة .  
— بهه يابى .

قلت ولم تنظر إلى . كانت جالسة أمام وأبهر الحجاز المشتعل ندىء يديها وإحمره . أنفطها المطر فى هذا الوقت من الليل وصوت الدجاج المستعيت الذى قالت عنه صد قليل أنها ترغب فى تجديد عشت .  
— سأستأجر شقة واسعة بالجهة البحرية .  
— بهه يابى .

فأنتا بتمى الصريقة التى لا أعرف هل تدم عن رضا أم تشو بالأس . بعد أيام جاءنى « المقدس يحيى » الذى قرر أن يشتري البيت لنفسه ، ومعه « عمه الفكوانى » الذى يبنى حجارة على البحر مباشرة قرب المطار . المقدس يحيى هو الذى دلى على العاكهائى وقال أنه سيبيع بيتنا ليصحبى شقه .

تصنعت أنى على عقد بيع البيت بألف حيه على أن يخله خلال سنة أشهر ، ودفع المقدس يحيى الألف كاملة . كانت هذه أول مرة أرى فيها

انتعشت آمالى من جديد لكن لم يد من الصعب أن شخصية هامة سترو مصر هذا الصيف . جاءت السبعين جنبها بالقرية التى أنام فوقها صابرة مائة بعد أن صرفت بنا الشركة مكافأة تعادل مرتب شهر تنامية تدشور سفينة جديدة . ومضى الصيف صاعداً . أيام الجمع التقى مع حسين وعبد السلام على الشاطئ . يتخلف ما جد لعنه فى الصدية . ما جد يقول دائماً أنه يوم يمتدك صيدلية خاصة سيجعل راحته يوم الجمعة وليس الأحد ، وأنه يقتل نفسه فى العمل عند طوبى ليحقق هذا الحلم .

فى كانوا « يسو » تفرج على الناس من حولنا . يتحدث عبد السلام عن شاطئ الدخينة قديماً حين كان نظيفاً غير مزدحم ، والأجانب الذين عاشوا فى الفن حلف المحكمة يقيمون المحلات الثقبلة والخاصة والموسيقية بناس بهمان . زحف الإهمال على الشاطئ وتغير رواده باتون الآن من « القبارى » و « للشراس » يحمون معهم الشجار والصراح جوار أنوالى الطهور والأطفال . وحسين لا يكف عن بث الانقسامات والإشارات بيده للند والفنيات فإذا تحابيت أحدهما اشتمل وجهه بالخص . « ألى هنا فقط . لا أستطيع الاستمرار » . يقول ويضم فنتضحك ويهوى بث الانقسام والإشارات . وأنا كثيراً ما أفكر فى المائة جنيه وأقرر فى لحظات بأس أن أهددها . ودعنا بهه الصيف فى الشتاء وسألقى حسين بشمعى ذات مساء :  
— ماذا تسمو شردا هذه الأيام .

قلت

— بانعكس أشعر أنى حاضراً للفن تماماً .

قال ما جد أنه كثيراً ما يشتري منه الرياض الأدبية ويتركها ويأتون فى

شيء راسخا في مكانه العظيم ؟ .

استلقيت فوق سريري مرهقا ووجدتني أتذكر مدرسي اللغة العربية القديم ، هاديء الملاح ذا الوجه الحزين في مدرسة الذين الثانوية . الحياة أكبر من أن تقف أمام أي حزن أو قلق . كاد يقول دائما . كل ما عيشت إذا أصابك شيء من ذلك أن تمسك بورقة وقلم وتكتب رسالة إلى من صابقت أو ضابقت ، تحب عليه أو تستعمره ، بعد ذلك لن تكون في حاجة لإرسال الرسالة . ستهلأ نفسك وتفرح . قد أنه كثيرا ما يفعل ذلك . هذه هي طريقته الوحيدة الناجحة في التخلص من همومه . إختفى هذا المدرس الشاب فجأة ولم يعرف أحد سر اختفائه ، وأذكر جيدا كيف تجهمت وجوه المدرسين لفترة طويلة وكيف ساد الصمت حجرةهم .

في حالة من الأسى الدافق فكرت أن أكتب لأخي الأبية التي تنام بالغرفة الأخرى خطابا أطلب صفحتها . أمسكت بورقة استندتها على صحيفة على ركبتي وكتبت .

« سيدي رئيس الجمهورية بطل المبرر والنصر .

بعد التحية

محيط فضامتكم علما بأن جمال مصنع بناء السفن البحرية بالاسكندرية أبدوا رغبة حامية في السفر إلى القاهرة للاحتفال معكم بعدد العمال لكن رئيس مجلس الإدارة رفض وقال أن ذلك سيمطل الإنتاج . أي إنتاج بمنعنا عن التعبير عن حبنا لكم ؟ ..

« عامل صغير من أبناء الشركة »

\*\*\*

في فجر أول مايو كنت أقف في ميدان محطة مصر أمام أوتوبيسين كيبين . دأبتني النسمة الباردة وأخذت أتطلع إلى سيارات التيجو المصفوفة تنتظر ركابا إلى القاهرة وقف حولها سائقون يدخون في صمت

الألف جيه . حرر لي عبده الماكهاني عقد إيجار شقة تسلمها خلال نفس الفترة وأخذ الألف جيه . أمي صامتة لا ترمش لها عين وقلبي يبط بين صلوحي . من الغائر ؟ . معي حقا عقد إيجار شقة لكن يمكن أن لا يعدو كونه ورقة غير قابلة للتنفيذ لأي سبب يبنا ضمن للقدس يعني بيتا ودار الماكهاني بالألف جيه . لم أستطع التراجع . حين تكون طيبا مثلي لن تترجع . ثم أن هناك نوعا من السعادة يتسع داخل الإنسان فحاة مجسده لا يرى أكثر مما أمام عينيه .

انقضت الشهور الأربعة التالية والقدس يعني لا يقطع عن نهارنا . وأنا أتردد كثيرا على العمارة وهذه الماكهاني وإزداد اطمئنانا — لماذا لا نجلس أمك معنا ؟

سأل القدس يعني مرة . لم أجد ردا . لم تعد تتحدث معي كثيرا . كلما ماتت « ككتوت » تحضرو لأراه . لو كنت بالخارج احتفظت به حتى أعود لأراه فأسكنه من ماله اللينتين وأقذه بطون ذراعي فوق البيوت المتزاحمة بالكفاف .

— حين تنقل إلى الشقة الجديدة ستد إليها الروح .

قال القدس يعني بعضي ، وفي نهارنا التالية لبعده الماكهاني قال .

— يا أستاذ شجرة فلوستك موجودة . أرتفعت أسعار البناء ببحون وحناج مائتي جيه .

.....

— يا أستاذ شجرة أنت موظف في شركة بناء السفن الكبيرة وستضيق أخصاص المبيع بها .

تركته ولم أذهب إلى المقهى . اشتريت منه كيلو يرتقال حادق أعطيت شحاد في الطريق الساعة لم تتجاوز السادسة مساء ووجدت أمي نائمة . سمعت صوت الدجاج فصكرت أقدم إليه طعاما . لم أفعل ذلك من قبل . ما الذي نفري من هذا البيت الرابع ؟ . ما الذي أقارني وكان كل

الأسطى بهم الدى يصحى للمرة الثالثة يكمل يومه فوق مقود السيارة ،  
وكندت يفعل لأسطى عانس الدى يخرج معى للمرة الثانية . بانس لى  
ساعة لحظة معصلة على الثانية عشرة ، وحركة حصة و الساحة الأمامية .  
فى حديقته ليدل البسعة أيام أكثر من شخص على المقاعد الخشبية وقد  
عصاه الخش . وأنا مسرور لأخبر سيجارى صكمتنا أفكر فى الأسجوع  
الاصو وكيف لعب مع « العذولة » بعت ، وكيف تصاصى همتية  
الصحات متى ذهبت حبيب ومأخذ وعيد قسلا . لم أنشأ أن أحبرهم  
شئ . لقد دخل الذكرورى حرق مصطوما شاحبا على شحوبه وقال :  
« جهر نفسك فلاحتمال بعيد العمال . وشحتك لأنك تعرف  
القاهرة وحيدون جيدا »

بدت جهد جبر ألا تصعد إلى وجهى دعت . لم تمشى لى يذرة  
مقاهرة ولا حواء ، ولا يجب أن يدرك الذكرورى أن متجه لمرفة شئ  
قد كأنه يحدث بعنه أن أحد الحبناء من العمال أرسل خطبا إلى رئيس  
جمهورية يدعى فيه أن رئيس مجلس الشركة يمنع العمال من التمسر  
بشركة فى الاحتفال بالرئيس لى عينهم ، وأن أحيان كتب الخطاب  
بخط ركيث — كنت أعدت ما يكتبه يدي اليسرى على ورقة أخرى  
وأرسلت الخطاب من اليمين العمومية بالمشبة — ونقد حركات رئاسة  
لجمهورية الخطاب إلى الشركة وعليه تأشيرة « تلقينا هذه الرسالة » .

— ذل لم يظنوا سفر أحد ؟

قلت دبسمه ساحرا ومهى وهو يرمى لى رحلة ناجحه ولم أصدق



وهت أأمن توفد العمال من أكثر من جهة يحمل كل منهم معه  
صعيق ب طعمه مع أنا مسرور لهم وحية جاهرة ورجاحة من الأساس  
سأدره . سادت الحركة فى الميدان وبور الصباح يعمر الأرض فتمنع فوقها

اللى ، وأشعر بنشوة ترتفع فى دمي وتوسع فى خلاياى ، وأسمع سائقى  
اليجو يتنادون بصوت بشط « مصر - مصر - مصر » . وأفكر فى المائتى  
عامل الدين صرّف لكل منهم أربعة جنيهات كيف سأقتصع منها جيبى  
فيؤخر معى أربعائة أعطى لكل سائق مائة هذه المرة ، وألقى بالمائتين فى  
وجه عبده الفاكهاى المجدور ذى العينين الخيشم . « احلى شعور حبيب  
بالأذن فأحييت هذه اللذبة التى تتغل من الشتاء إلى الصيف كأن  
تسبح فى الكون الساحر معصلة عن الأرض . فب هى لسة حالية من  
السحب السود ، وقطعان السحب البيضاء قليلة متناثرة كأن أظفار لمرح  
فى الفضاء الواسع . الحمد لك اللهم أنت ذا لا تحلى عن ابنك  
« شجرة محمد على » صاحب الإسم العربى لى سبب به امضيات  
كثيرة فى طفولته وصباه ، ولا يزال لا يأنف عبادك الصغرى اللهم ام  
فعل لعباً ولا تحلنى فقتل أمى .

وانطلقنا على الطريق الزراعى الذى بدأ مبتلا يكشف لك ندبا لانما  
بعد أن ودعته شجرة الليل واجتمعت على الجاسين فوق لحقون تغطيها  
« مصر السابغ الذى يتكشف لليل فى نور متناثرة عن أشجار قصيرة  
عصيفة الإحضرار فيسر وهو سابع بيها كجدان ماء صحرة

كان على جانبي الطريق بام كثير يتناقل فوق الأرض ويتناثر إلا أن  
سرب أتطلع إلى ذؤابات شجر الكارويين والكافور العلى أفتش عن  
أصقاء العلاج من العريز وإهدهد وأنى قردون ، وكنت أعرف أن  
الأسطى زبهم يظفر إلى كثيرا ويصحت . لقد قررا أن نسمى اليوم لى  
صا . .

## منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« لا أحد في الدجاجة » لا يعرف الحاج عبد الوهاب . هو صاحب أكبر أسطول من عربات نقل أحجار البناء من الجبال . وهو رجل صالح يبيع كل عام ولا تقوته العمرة في رجب ولا رمضان . رزقه الله بالولد بعد ثلاثين سنة وفي الفجر رُوع الناس بعراج زوجته التي خرجت تجري في شارع الجامع ، حافية ظفر كنوا في الهواء . لقد عود الحاج عبد الوهاب منذ رُوع بالسلام أن يحن معظم الليل يسبح بأسماء الله . تلك الليلة ظل يردد بالطيب بالطيب بالطيب . ونظف في الأكل حيناً ويبلغ له كايوا ولم يسمع قط تحذير زوجته . اللطيف من الأسماء ذات الأثر الكوني السريع . هكذا خلق المخلوقين في الدين بعد الحادث . والذي حدث هو أن سقف الغرفة انشق إلى نصفين اندفع من بينها طائر ضخم الجناحين أبيض سايق عبر الغرفة بضوء أزرق يخلط البصار وحل الطفل إلى صدره وضم عليه ساقه وأرفع من بين السقف للفارق يشق الفضاء إلى السماء السابعة حيث عرش الله .

« ٣ »

اليوم هو الثامن عشر من يونيو . يوم يامت بلا احتفالات ولا زينات ولا خطاب لمسؤول ، يوم غلب عليه الثالث والعشرون من ديسمبر حيناً طويلاً ، وجاء الخامس من يونيو لينقع هما وتجميع الأيام إلى الظلام الآن



السادس من أكتوبر هو الملقى . وللمرة الثالثة وربما أكثر لم أستطع أن أمسح  
بعضي عن النظر إلى العرف الأربعة الواضحة ، والمصالة العسيحة ، والجدران  
المدهونة بالزيت الغضبي ، والأرضية القروضة بالفتاتكس البيج ، والحجر  
الواسع الذي يرتفع فيه القيثاني الرودي إلى منتصفه ، والذي يلعب  
السومريك على أوصيته ، واليانبو الكبير ، والنش المتحرك .. إني أزداد  
ملولاً ...

سلمني هذه العلكهافى الشقة بعد أن مررت النديا في وجهي . ولم  
تؤخذني أحتاج مائتي جنيه أخرى . لم يكن مضي أسبوع على تسلم  
لمائتي جنيه الأولى . صرحت وكان الشهد مضحكا . أنا الطويل أعرج  
كلني معوجحين بعصية أمام وجهه مباشرة ، وبين رأسه ورأسي مسافة  
نصف متر . تركني وجلس بأهل بيننا أدور بين التماكة والخضر النابله  
مسعورا أود لو رفعتها وكومتها فوقه فخنقته .

— أنا لا أتحدث . الشقة يمكن أن تنتظرك سنة .

كدت أقول أن أمي سموت لو عرفت بما يحدث . هذا لي يدرك  
ذلك . يتسم كقرد وأنا أكاد أنفجر مبهتا في الفضاء . وصوت لم أستطع  
اطلاقه كي لا ينتشر الخبر . لا أعرف كيف صار شكل وجهي وجهي  
وبما الذي دفعه للقول .

— اكتب لي بأبلغ إيصال أمانة ، أستطيع اقتراضهم من أي قاضي  
لحسابك .

وافقت . أوافق أو أقنعه ولا وسط . سلمني مفاتيح الشقة قبل الموعد  
وبدرك لي البعين . فكرت أن أسعى بحسنيين ومجد وعبد السلام لتقل  
الأدث . استأجرت عربة نصف تقل كومتها كله فوقها في منتصف

الليل . سمعت أمي تقول « بسم الله » وهي تدخل الشقة بقدمها اليمنى ،  
ولم تنسى أن تصحني بذلك . قلت « الحمد لله » مستعذ أمي  
بالشقة . بسرعة وزعت الأثاث القديم في حجرتين . بدت لي الشقة  
تستوعب أثاث عمالات شوارع العطارين وتوفيق وصلاح سالم وقزاد  
أعرفها كلها الآن ولم تلفت انتباهي مرة من قبل . أنفقت أسبوعا أتفقد  
وأنا أعرف أنه ليس في قلبي شراء شيء منها . لقد غرس في رئيس عمس  
الإدارة الأمل حين دعاني بعد أيام قليلة من عيد العمال وقال وقد نهض  
يستقبلني من خلف مكتبه طويلا عريضا أبيض الوجه لتسكب البعثة من  
وجنته مشربة بالحمرة :

— لقد شرفنا يا شجرة .

طويلا أن الذكروري كان يقف جوار المكتب مكسورا بالفرح لما  
صدقت .

— لقد شرفنا بحق

وأطمنى على خطاب شكر له وللعاملين بالشركة الذين ساهموا في  
الاحتمال بعد العمال في حلوه

— متصبح مشهوراً يا شجرة . الخطاب من رئاسة لجمهورية

قال وهو ينظر إلي ، ولابد أنه فكر أن صممت من أثر المفاجأة المسرة  
الكيرة ، وأمر لي بعلاوة استثنائية اعتبط لها وسع الذكروري حتى كان  
« بئرك » دماً وأنا واقف أمام كيف تجري الأمور في هذا البلد ..



خرجت إلى الشاطئ فوجدت عدداً غير قليل . توقفت مقابلة ماجد  
وحسين وعبد السلام فلم يأتوا . جلست وحدي بكروني يسو وجهه

لم يكن يتعد كثيرا عن الأرض . فزوجها وهي في الرابعة عشرة ، وصبر معها عشرين سنة حتى حملت لي . قلبه سمع أنت ، قل ، شجرة . . . ضحكك . قال : شجرة محمد علي . لقد عرفت من قدم ابرم ، سمعنا كاريون ويكون طويلا كاللحل ، وقال أن جد ، سمى به الاسم أنه ولد تحت شجرة كافور خيبة المسك ، وصحك ثم بكى ، لقد صدر أيا بعد عشرين سنة ..

وصبر ، أنمو بسرعة مدعشة في بيتنا القديم في حاكم البلدية بكمون الشدافة . لم تعد أسي تحكي لي قصة أسي فلم أهد أمأله عنه بل أذنع عنه أمام الأولاد ولا أشكو . أراقب نفسي كيف يرداد صوي فوق رؤوس العمال وكثيرا ما فكرت أسي حين أكبر أكثر سأكون شجرة يحل فتخرج من فروعها ورق وظلال تفض فوقها العصفير يغذيها الأضغال بالأشجار . أصحك وأخاف .. فجأة أصبحت أطول من أسي فكانت تحل من المشي معه أو مع أسي بيتنا ينظر هو لي ويقول : تماما كما تميت من الله ، ويص . كنت أملا الطرقات الواسعة صحبا ولعبا حول المساكن لشاحنة ذات القرميد الأحمر تقوى تتوسط ضللا وأسعا تحيطه حدائق معروشة بالحيل الأخضر الزاهي حولها العرق النبيلة بالأسفلت اللامع . لا عريب يمر هنا ولا سيارة . الأمهات يقفننا منذ الصباح الباكر دون خوف تمتد أبصارنا ونحند ويرتفع في الفضاء . أي صحر أرسه الله لي تلك البقعة الموسمية التي يرتاح فيها الضوء . لا بد أنه خلقها لنفسه فشر بها السكينة والوداعة ، ولأنه أنه كان يحيا عركها لها . الشمس تعمرها بالصيف والشتاء . المطر يصل شوارعها والملائكة ، بالقرب منها مصحة الأمراض الصلابة حقا لكنها لا ترى عمر أشجار كافور وكاروبها عالية تحيط بأسوارها فلا تخاف . والأيام تنص كما تمسح الأم رأس طفلها كل شيء يوفقه مرتب إلى الصغير ملاحظ العمال في جراج البلدية بالحصرة . شارع باب الملوك هو الشارع التجاري ، ومن ميدان الساعة يكرمور تشتري أسي وجاراتها فضلات الأقمشة لمن ولأبوابهم ولها يمشين

أكثر الحاسير أليقة لكن لا صفة تربطني بأحد منهم . الوقت ظهر وكنت أكلت سمك من البطي الذي شويته بصبي . قالت أسي أنها لن تأكل قبل العصر ، وظلت حالة بالشره تتطلع إلى البحر . أخذت أتابع الأعمال المرحية في المياه وعلى الشاطئ ، والفتيات الصغيرات يتنادين وقد عذقت ألبسهن حصور بعضهن ، وراقبت العائلات الملتعة حول أصناف الطعام تحت الشمس ، وبالكانبوهات مفتوحة الجوانب . الشمس مبهرة وكل شيء حول ساطع يسبح في أمواج الضوء وأسي ترفض خلع ثياب الحداد حتى الآن . تشيع في البيت صمتا مستبدا وأحيانا أعاف . اللون المعصى للجدران يجعل ثيابها السوداء أشد قتامة ، وضوء الكهراء هنا أكثر قوة ، وبالأمس قالت أنها سمعت صيحة في الشقة للمقابلة فخرجت وطربت بابها . فتفتحها شاب هناك بالشقة للجديدة فضحك وقال أنه القاش الذي يلعبن المظنان ، وأن شفق العمارة جميعها عالية لأن مستأجرها يعملون بالدول العربية ، وسألها متى وصلنا من السعودية ١٩ . ثم سألها ما إذا كان أصعبها دهان شقتنا فكانت للحسد له .

قلت :

— هل يضايك هذا الوضع ؟ . لن أخرج كثير إلى المقهى بعد الآن .

قالت أنها مبسوطة ، وأنها بالنهار تراقب حركة الأولاد على الشاطئ والقريب ، والذي يصطادون السمك فوق الصخور تحت العمارة ، والسفن الراحلة في عمق البحر . وإنسمت وقالت أنها لأول مرة في حياتها ترى سفينة ، وسألتني لماذا هي كبيرة وبضياء ؟



هل تسي رجل في هذا العالم أن يكون امرأة ؟ .. أنا . لو ولدت بيتا رعا أسيت وحدة أسي . لن تسي أبدا أسي ، محمد علي شجرة ، الطيب الذي

الجديد ، وإلى « البيضاء » يغطون رحلة ضاحكة لشراء السردين والسماك  
واللحم . الحميرى مأكله كأنه قول سوطى . السردى يُمَلَح في الصيف  
من أجل الشتاء . حول « الكابوريا » تلف نغم الصغار تعابثها بعيدان  
أخشب . في العيد الكبير يخرج الرجال إلى سوق الأعنام القريب فوق  
جبل الطوبجية لشراء لنازع وأخراف ، وإلى « عامود السوارى » تشج  
النساء بالسواد في بهارة لموتاهم بالأعياد والأفحة . أشم الآن رائحة الأرزقة  
الصيفة التي كنا نعيد لنصل إلى شارع باب الملوك . رائحة الماء  
بالصبارك للسوق في الطرقات من النواهد العالية . رائحة الأعنام الكثيفة  
فوق الجبل . أسمع نثررة المسار الأعور الذي قال أبى عنه أنه في الصباح  
الهاكر وقبى أن يخرج إلى السوق يقسم بالله العظيم أن لا يعلف أبى بين  
صادق طول النهار ! .. هكذا كل السماسرة يلوئدى حلفانهم الصادق  
الوحيد على الكذب ، « وأرى رجاء » البيضاء « للقاء بالضحك البذى  
والشجر البرىء ، والنساء يصحكن وهلمو النعم فوق عربات اليد  
يشيرون اليهن « بالخاصة » . إلا أن المكان كله اضطرب . تحول الفضاء  
لواضع إلى مركز تدهب على ضرب النار . تفرقت فيه المتاهيس والمدايع  
المصادة للطائرات . دحمت البيت ضاحكا والفت بحفنى الجندية فوق  
السرى وهفت « أعطونا أجدة عشان إيدن » . قالت أمى « يقطع إيدن  
وسينه » . وضبطنى مع كوتر أعت دنى . لم أكر صغرا . كنت في  
العاشرة وأقبلها بحلف الباب كوتر تنشر عطرا طينزا نحرص أمها عليه  
وشعرها الأصفر متروك بحرية عصف ظهرها ووجهها الأبيض أحمر نضو  
وتدخل شفت كحرا الأطفال جميعا يدخلون أى شقة لأى أسرة . أبواب  
الشقق دائما مفتوحة طول البار نخرج منها وقد دخلها أيضا قطط ، وأنا  
أكثر الأطفال دسولا بمرحوب فأنا أسمر ووالدى أبيضان . وجدت نفسى  
أقترب من كوتر أشم عطرها ولا أراجع . صفعتنى أمى لأول وآخر مرة  
أذكرها ، أنا ابها الوحيد ، وطردتني فترت انفرج على الساكر الذين لا  
يتعلون عن المدايع ولا تترل عيونهم عن السماء في انتظار الطائرات

القادمة فوق السحب . ما كاد المكان يعود إلى علالته وزهو حتى عدنا  
بلمب بذكرهات جندية . كنا شجعانا نلتف حول الجرد وهم يطلقون  
نيران المدافع على الطائرات التي تبدو كالجمجم ، وكبرياء تقدم لهم الأطعمة  
من بيتنا ، لكن الجبل مَحَل ، وبانت الحدائق جرداء في أكثر من  
موضع . لم يعد لون الأسفلت أسود تتزلق فوقه أشعة الشمس . أقبلت  
السود لما ملق راكدا ، نكمر فتصيق بنا الصرقات . وسعل أبى وقال .  
— دقنا كنت أنظر إلى المصحة . أدركت الآن السب .

دقت أمى صدرها .

— عفى يلتوى عصبها بها .

تَجَعْتُ في ركن تيكى ، وأدركت أنا لأول مرة أن المصحة ليست أشجار  
كلور وكازورين وإنما لها باب .

— كم ادخرنا ؟

رأيتنا نخرج من عامود السرى النحاس كيمسا طويلا من القماش ورأيت  
ينظر إلى هذه الحمى الغريبة التي عادتني مرثى قبل امتحانات الثانوية  
العامة ولم تتركى إلا بعد الامتحانات . لم أكر غالبا رغم رحلات السبا  
مع هانى وراشد . هانى في الكلية الحربية وراشد في كلية الطب وأنا أذاكر  
للمرة الثالثة دروسا حفظتها وأخاف هجوم الحس .

مر أسبوع اشتري أبى خلال قطعة أرض مائة متر . تحدث عن  
« الدخيلة » وعن الجبل الذي يشتريه فيه الناس أرضا رخيصة . « إذا  
مت متخرجون من السكن » . حَسَم الأمر . كنت سمعت عن الدخيلة  
من قبل ولم أرها . وصلت إلى منتصف الطريق وبين انكس حيث  
يوجد « معسكر الفتوة » الذي يذهب إليه طلاب الثانوى مرة كل عام  
للتدريب على ضرب النار . في البيع التالى لشراثة الأرض أجست  
الامتحانات . وضعت فوق الاسكفيرة طبقة من شعر البليد ، وعه  
غبار محاميسى كاسح . لم تنفر معالم المكان لأنها كانت تع

ندرى . انتشرت أكوام القمامة الصغيرة . تعطلت مقاعد الحدائق واحتمى أكرها . وسقطت أوراق الشجر حول المصحة وتكسرت مروع هبات برافدها وبظلمات المرمى النათية . بدا أن قصة سوداء تمسك ببقايا الدنيا ، وأن مارداً سيدق عظام البشر . انتشر الصراخ في الطرقات هرولت الروح شاردة في الشوارع تبعثر في أقدامها . لطمت النساء حدودهن حتى كسرن أنسبهن وقع الأطفال يكون في الأركان المظلمة لقد تحسنى جهاز عبد الماصر ودخل اليهود البلد ..

استمعنا بحزن إلى القصص عن الجنود المبعثين حماية في الشوارع عرق الثياب هاديين من الموت ، عن الفارين من مدن القنارة ، ولحلت التي تدفن بالليل ، بعمود السوارى ، قادمة من المستشفيات البعيدة ، بدا أن الناس كرهت بعضها ، فاعلقت الأبواب مع اللبيب ، ونسبوا الظلام الأرض والقضاء عجبت حقا في الفأوية العامة لكر بمجموع لا يؤهلنى لآى جماعة . لم أحرز م تعدى رغبة في العلم وجدت صلا فى مصنع بناء السفن الجديد . قلت لأنى ساكمل بناء البيت لأبد أنه بعد أن نكمل سار إلى الجبل كرهه فسم ينتظرنى كرهت الشقة كلها لكر أين أذهب ؟

اكتشفت أن الإدم طيب بارد لم غير آية شىء مع مرورها ازده الزحام ، وكثير الأعمال ، وانتشروا في الأوقاة الشنة بالمحور ، وأدركت أن الجمال فى الأشياء عادة نأفها ، ونحكم هذه العادة أيضا قد عقبه الإحساس بما حولنا . أنا لم أكن أكره الخيل ولا أحس به . حتى « معسكر العترة » الذى كنت أطلع إليه كل يوم فى طريق دهاليز وعودنى من العصر . وأتذكر كيف تدرت فيه على ضرب النار لأول مرة ، وكيف وصعت منديلا أمام كمنى تحت القميص لأمتص ارتداد البنادق المنور ، هد المعسكر م أعد أنظر إليه ، ولم يعد علامة بارزة فى الطريق الخالى . لم أكر أنهد النظر إليه فى البداية ولم أقصد التعاض عنه ، ولا أخرى ما الذى جعلنى أفعها . أمس فوجد اللاتنة التى فوق بابها قد أزيلت ووصعت أخرى نعلن أنه أصبح موقعا لفترات الأمن المركزى .. ظننت أنى مثل ولم أدرك إلا

## منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« فاض العامل في غلة مخبر الأكسجين بشركة بناء السلس  
أصبح مشهوراً في الاسكندرية الآن . سعد بالثمن أحد أهرام  
الإشارة التي توضع للثمن عزراً ولم ينزل ، بالنهار أخذ يؤذن ويكرر  
الأذان ، فصار العمال يتركون ورسهم وذهبوا للفرجة عليه . جاء  
رجال الأمن ونادوه فلم يستجب . سعد إليه أحدهم فاستشفوا أن  
منه عصا خفيفة ولا سبيل للوصول إليه . حضر رئيس مجلس  
الإدارة فرعى نداه ... تركوه لظل حتى اليوم الثاني أحضروا  
زوجته وأطفاله الثلاثة وأعطوهم ميكافون ينادونه به فلم يسم .  
زوجته جيلة شغراء في ثياب مهللة ألهفت شفقة المحضمين ثم  
ضجهم . أطلقوا صوته الرصاص فلم يجر . تركوه لليوم الثالث  
وتركوا زوجته وأطفاله ينامون تحت البرج فلم ينزل . حضر رجال  
البوليس من الممرك ورجال الإطفاء والإنقاذ وصعدوا إليه من كل  
جهة فأخرجوا سكاناً من حيزه قطع بها رقده .

« ك »

الاسكندرية آخر العام تكون توغلت في الشتاء ، تتجمع مودها  
السحب السوداء الثميلة وتهب عليها « توتان » متعاقبات . ما يكاد  
يتصاف يابح حتى تكون للفتحة قد شربت من المطر بحاراً ، وتبدأ الشمس

حجلى و الظهور بشرق الجو شيئا شيئا وتعمر الطرفان بالملحة ويحكى الاشتراك في استقبال الرئيس في السادس والعشرين من يوليو ثم يكن الناس عن المظر الذى اخبروا الأسقف ، الرج اتنى طيبت الزجاج شهر مضى على موت أمى . قال الدكتورى وهو يحرسى أنه سيقوم الاعتدوا التى دهمت الأسرة جميعا ، كميات التعصب التى امتصوها باللمحة . عفت أن يطلب منه العمال أن يفعل ما أفعل يعرف حرقى السيمون الذى شربوه ، العدى والبصل والبرقال ، التيار الكهربى الذى عتَب حوقى وأنساقى . عرفت أنه أنجز المهمة فقلت ربما فعلها وصدرت سرا انقطع ، الرعد الذى أزعج الأطفال وسط الليل ، أثيق الذى احترق مثل سرى الخليفة أحست الدكتورى هذا المحيل شح الوجه جدى السيش والرجاج ، الرجل السافر الذى طرد زوجته في اليد والظلام والمظلم يوم وفاة أمى ومعه مريض أن تتحمل الشركة وسقاية كل المصروفات والذى ها يتياها من البعده ، والطفلة التى دهمت في الشربة وحسنها المولود

\*\*\*

مضى به برفق في قضاء الشوارع حتى أقرط الأرض بسلام تعظم النساء في الشرفات وفوق الأسطح يتعرصن للشمس أو بشرى العسيل ، ولا يملأن أن هذه المدينة أظلمت واتصل ليلها بهارها طلع هى لا يكف عما الصراخ عند الاستحمام وما تكاد أمه تطفقه من تحت الماء حتى ينطلق في البيت بالهجة والفرح . إلا إني وصلت واحدا لهذا البيت كرهت العاطف السادس والسبعين هذا الذى اتصل بالعام السابع والستين واجتمع معه على . رومان حسين تبادلوا موقعيهما فاحلنا أنى وأمى . بدلى موت أمى عقاب سماويها لكر ماذا كنت أفعل . رُمْتُ خطوة إلى الأمام هل فينا من لم يوم ذلك ؟

فكرت كثيرا في حسين وواحد وعبد السلام الذين لم يرددوا على . زلزلوني مرة واحدة صباح وفاة أمى حيث ذهبت لعبد السلام بهادونهما فأحصرهما بدورهم رغم عنق صداقتنا لم يدخل ما واحد بيت الآخر نلتفى دائما بمقهى ملقى على الضريح السريع أصدفان لا يحسدوني إنما هم يكرهون البيوت والجدران . ربما فينا بذرة العرقه رغم مايلو علينا من السجود .

فكرت كثيرا في حسين وواحد وعبد السلام الذين لم يرددوا على . زلزلوني مرة واحدة صباح وفاة أمى حيث ذهبت لعبد السلام بهادونهما فأحصرهما بدورهم رغم عنق صداقتنا لم يدخل ما واحد بيت الآخر نلتفى دائما بمقهى ملقى على الضريح السريع أصدفان لا يحسدوني إنما هم يكرهون البيوت والجدران . ربما فينا بذرة العرقه رغم مايلو علينا من السجود .

اشترت تبغريون صب عشرة بوصة بالتقسيط بعد أن اقترعت وأتب شهرين من الشركة دعتهما بدمعه . لم أشغل نفسى بدئى لعبد الفاكهاني الذى واسى في أمى وقال انه لا يتعجله . لم أكنم على اعتدائى عن عذر

— هل هناك جديد لأى واحد منا ؟

— صحيح .

أجاب عبد السلام كأنه يبهت ثم وجه كلامه إلى

— سأخبرك بأمر أرجو ألا يزعجك .

— من هذا ؟

سألت مجاورى الذى رأته سمينا بدرجة ملقنة للنظر فضحك مبتهجا كطفل .

— ألا تعرفه ؟ أنه سيد برشو .

— آه .

قلت أحاول إعطاء إحصائى وعجربى عن العهم وجدت نفسى يتصرق الصغف لأتقدم ناحية سيد برشو . لمصاحب وصار مهر العمال الفاضل يفرق شارع المكس . فغطت حركة السيارات وانترام وبن من بها . ففتحت بوابد البيوت وأطلت منها ساء وفتيات وأطفال . منهم يرددون الحنايف . وأنا أحتف خلف سيد برشو لماذا فى هذا الوقت بالدات أدقق النظر فى وجوه النساء والعنات . زهور بيضاء نصل من أشجار هائلة . لا أسمع أصواتى وأصحة هدير أصوات العمال يرحم الغضاء ، وأعرف أنهم يبتش من حركة الأمواه وتلويح الأذرع . لأند أن الحكومة أعطأت بالفعل ومى موع أعمار هذا العدد الكبير من السلع . لا يمكن أن يكون الخطأ عند هذه المشود الهيشة . لكن لماذا لا أشعر بالغيظ منهم ؟ لماذا لم يصاغى ارتفاع الأسعار ولست غيا ؟ هل لألى أعزب ومقطوع من شجرة ؟ . أم لأن الأمور تجري أمامى ولا أراها ؟ بركان يتفجر حولى وسجال تقع . بانطول بالعرص حجب الحكومة الأرض ... ماذا يفعل سيد برشو مجلسا الشمسى دا يفى موز .. يفى حرامى الفلاحين .. ماذا يقول سيد برشو بالأمريكا لمى غلوسك .. بكرة الشعب العربى يلدوسك . الصهبوى فوق قرأى .. وأنبأحت على بالى .. سيد برشو لا يخاف . قولوا لناسيم فى عابدين .. العمال يأتوا جعابين .. وأدقق النظر فى سيد برشو . خيال راح . أسمر وشاحب أنسكه بعيسى وأرى فى وجهه عيني ذقب شرس . ثاقبتان عياه حقا وخاطفتان لكهما أيضا بدينان دمع هذا الذى أراه أم سجابة حرق ؟ العمال يساويون حمله . صئيل الجسم حتى لتحسبه صيا فى الرابعة عشرة ... كل اختلافات تتمرع من

وقال أنه منذ أيام جمع ، المقدس يحى ، على محطة الأوتوبس وشرح لرجل كيف يحصل على التقود من المواء ، فهو يشتري البيوت القديمة لحساب عيله العاكهاتى . وسبا بيت اشتراه منذ عام فى الجبل بألف جنيه ، وباعها منذ أيام بثلاثة آلاف ، وأنه يفوز بمعمولة كبيرة من هذه العمليات ، ومه السجاد والخصر التى يدور بها فى للطرفات إلا سائرا لا يتنظر منه تقعا

أمنيت لينة مجونة كذبت فيها أحطلم رأسى يدي . قروت قفل الإثمين ، الماكهاتى الذى يبيع الماكهة المامضة ، وللمقدس الذى ورما القلب من أبيه الذى لأند لم ير المقدس قط ، ذلك القصور المربع السمى الأشقر أحمر الوجه والحاجين قصور النواعين صغير الكفين كعشرة اشترت نصف لتر يواندى لأول مرة فى حباتى شهت بصفه وعت منها

\*\*\*

ذهبت إلى العمل متأخرا نصف ساعة . الإدارة تكاد تكون خالية الجميع يطلون من النوافذ .

— العمال يهدون الخروج .

— لماذا بمنزهم ؟ خبروهم أفضل ولا حطموا الشركة ..

صوت العمال بأق عاذرا من خلف السور المالى الذى يحيط بمواقع العمل يهتفون . ما كل هذا الضضب الذى يملأ للقضاء . انتقحة البوابات الرئيسية على مصانعها . إندفع ميل العمال وجرى بمنهم لم الإدارة يخرجونا مشاركهم . مائة ألف عامل لو يهد وأعرف من غير بالمفات فى حجرق أنهم عشرة آلاف . عشرات عمولون على الاكتاف عمت أحدهم يربط رأسه بعصابة بيضاء ولوح عاليا بتعديل أبيض جيون إنه يجذب حصفه وحوله أكبر كتلة من تجمع العمال ويتقدم للنس كلها .

هناه أو نبي عليه . الرحف جبالاً . شارع للكس الواسع يصيق بالميصك . سيد يرشو يرشو بالتوقف . المسؤولون يشيرون بعده . الجميع يقومون . يدخل هو وكتلة بشرية ضخمة من زقاق جانبي . أنا معهم . كل شيء يبدو لي مخططاً ولا أصدق . نحن الآن أمام شركة « باتا » . هنا يعمل حسيني . هل آراه ؟ . عمال بناء السمس الاحرار ينادون عمال باتا لشراء . ماذا لو رأيت ؟ . ماذا لو رأي ؟ أكثر عمال باتا من النساء والعميات . أعرف ذلك . هاهن يتطلعن من التوافد . يهتس معنا . أنا لا أهتمف الآن . أين حسيني ؟ ماذا يفعل مع هذه الخانات من النساء ؟ لابد لا يرفع عينيه عن الأرض طول النهار . أبتسم . عاش بضائ المرأة المصرية . سيد يرشو يحنون . أهتمف معه الآن . وددت لو ميزت صديق بين الزئير القادر . يخرج بعض المسؤولين يتفاوضون مع سيد يرشو . عاش نساء امراء مصرية . يهتف ولا يتفاوض . أصبحك معجأة تطول وأنهي لا أدري لماذا الآن ، وفي هذا الموقف ، أنني جليفر في بلاد اسيوط . تفتتح الأبواب ويهدر سيل النساء والرجال . يحملن الحشيد وفكر أن كيف تفادي الاحتكاك بالفتيات في هذا الزحام الصاغط لو تلمح عباى حسيني . مسرعة تلتفت لتتحق بالأصل . مستحيل أن أرى حسيني . مستحيل أن يعرف أحد أختا . يا الله . هل هذه مسيرتنا حق . زمتت لسحلف حتى انقطع النظر احصم اليها عمال شركات الأمست والشترول والكمبيوتر والديباغة القادمون من المكسي وودى القمر والمخيلة . لابد أن شبة قامت بالفعل . حطت مدرسة الوردية الثانوية وصايات المنعمات وتلاميذ طهر بك الاعدادية . نزحف وطول بمصافى وكم مرة أكاد أنسى . أشعر بالهواء البارد فوقنا . يحاكمك بالمباحث كل الشعب بظلمك حاسس . أهتمف خلف سيد يرشو واتطلع الى الوجود العالي من جديد . فصل إلى كوبرى التاريخ فيكشف أن المسير أصبحت انتظمت وحدها . الرجال يشعلونها من الأمام . القيامة ستقوم لأن ! . عمال محالج ومكابس الأفعوان يسدون الطرقات الجانبية رجال

ونساء لا حصر لهم حفاة مخوفو الثياب على الكوبرى يصطف جرد الأمن المركزي بالعرض وخلف بعضهم يشكلون حائطا عبقا . يشيرون عصيم الخيزرانية السميكة ، ويرفعون ذروعهم أمامهم ، يبين أرحامهم وهو الأرض صناديق عديدة لتقابل مسيلة للدموع . من حلقهم يأتي أكثر من صوت للضباط يطلبون منا بالميكروفن الصرعى والإصراف حتى لا نتعرض للخطر . يبدو الأمر مضحكا . مسيرتنا تتوقف فعلا . هكذا أشار سيد يرشو الذى لا يزال محمولا . يتحرك كأنه يرمح فوق حصان مدرب على الرقص . كأنه يسبح فوق موج متاعم اللعصات . اغراء بهجر شديد لفرودة يصفع وجوها فادما من اتساع المياه على يسارنا . كشتت السحائر افقنا أول الكوبرى معلق . وصوت راديو يصرب منه . خمسة في ستة بثلاثين يوم ، غايب على وعاب النوح . صوت شادية جميل . لابد أن صاحب الكشك أغلقه على عجل . هو يلبس آخر موضة واحنا نسكن عشرة في أربعة . هتتف خلف سيد يرشو . يعول اولت لا يمر الكوبرى ولا يهاجها الجود . موقف عريب حقا وسيد يرشو يهتف بحى رجال الأمن المركزي .

— ولد .

— من هو ؟

— سيد يرشو . ألا تعرفه ؟

يتناثر الحوار خلفي ، وسيد يرشو يتقدم ، ومحمد قنديل يعنى من الراديو المهيوم ياحلو صبح ياحلو ظل ، وأنا مشدود إلى سيد يرشو ، يتسابق في وجوها القنابل وتتمدد الدخان الأزرق فينبعث الكهرون و أرة كمر عشرين لكن الكتلة الرئيسية تظل متاسكة مترخف ويتز الكوبرى ختا ونعوص في أجسادنا الخيزرانات السميكة ونعوص بين الجود والهوى البارد يشتد ولا أدري كيف تطورت الأمور . حاجتى جلدى طويل ، نيس أطول منى لكن الخيزرانة الموهوعة فوق جعلته عملاقا ، نرا متقصا من



موق جبل ، وأتلقى الخيرانة يندى اليسرى وأصك بها وتحنى أحله من بين محديه يندى اليسرى فأجده خفيفا كريشة ، وربما لأنى جولر سور الكوبرى الحبرى انعريض الأملس أجده نفسى ألقى به إلى ترعة المحسودية الراكدة انبياه العمة تحت الكوبرى وتسمع صوت جسمه يطش في الماء . وكأنى احترب حلا علدنا طاع ولا عجة للجنود إلا بلطرب ، فالعشة ما يعمدون إحدى الواحد يلقون به إلى الماء فتش فروع الحود يخبثون في شوارع بها البصل ، ويندفع طوعاسا في شارع السبع بنات ، ويتعد عن الكوبرى القديم اندى لا أعرف كيف تحمل هذا كله

بعد أنا الآن عن سيد يرشو أنشأ اخشود يكتفى ودراعى اليه أى جنى هذا الذى لم يسقط ولم يتوقف عن انفاف ؟ . طولى يجلسى أرى المجلات مضقة على الجادين وليس بالشارع غيرهم واحدة مهجورة مبرها تحطم بوافلها وأسمع سيد يرشو ينهى عن التخريب . صوته تصح لى لآى الآن لربب مه . انظرهرون يهرفون قسم اللبان حين يروه عظاما بقوات الأذى وأمسك دعى متبسا من جديد بالنظر إلى النفاذ العانة . نفس الساء الجميلات وانعيتات ناضرات الوجوه لكن يفتح أماما ميدان المنية يقابلها بهواء عريض تلجى وحشود زاحفة من ميدان عراقى . طانة المدسة الآداب . التجارة . الحقوق . الجامعة كلها . حواري جائر حولى . احنا الصبة مع العمال .. صد تحالف رأس المال . وأتلف خلف سيد يرشو وأرى أضواء السعادة تحمرى على الوجوه التى تشرب نفرا الملاحات لبقلة يجب بضال الصبة مع العمال . يحيا مصال الطلبة مع العمال لافتة عملاً المعصاء في كل مكان ورثير جتوى كأنه الجميع ميعرق كل شيء . زهر حوى كأنما توسط رعا وزلا لا . زهر جتوى شجعت من مرط صعقته البدايات موقعت جامدة . لا تفرعا عربات الأمن المركزى القادمة في اتجاه مرور الخاطيء من شارع تومبى ، ولا القادمة من شارع صلاح سالم أو شارع النصر أو الكورنيش أو ألقى في أفواه الأثرة ، ولا العدد المائل من الحود الذى يزل من السيارات يحاصرنا . هذا حصار كذاب فحن غلله

الآن أرض فضلاء ميدانى عراقى والمشية . غللاً الخدائق وبرحم الطرقات وهدينا هو الذى يعصف بالمفرد . يحلل النظام التلقائى الذى صنعه شارع المكس ومن يعله شارع السبع بنات ولا أحد يمر الآن العمال من الطلبة ولا الشباب من الفتيات وأجده نفسى جولر فتاتين عامكر أن ابعد لكر أحدهما تنظر إلى « ليه ده . أنت طويل أوى كده ليه » . وتنسم لى ولزميلها ولا أعرف بم أجبه ليريك بحى . « ولاد اكيب بلأرا المحجوه » تقول وتسر عيها ولا أراها بعد ذلك إذ تدوس اقدام على أجساد وزرع صيحات أسود وصراحت حمام . وتظهر فى الجوى أحجار وبتمدل المدحان الأزرق وتخترق أمطار حباب الرش المعدنية المطلقة من يادى الحود ليه وحمما ، لكر الميدان يحلى في النهاية عا كما كما ، غاضبين لى فرح ، منتشين بالتمارة والبرد دم جديد طارح يكسب لى عروق . صفر امراء البارد فوق وحوى زيف أعلام . أرى الحود يهرون لى الأثرة تلاحقهم جماعات صغيرة منا لى وضع منور للإشفاق . التذكر الفتاة الغريبة فأنسم . لا أعرف كيف احترف مبنى الاتحاد الاشتراكي القديم الذى عاد بورصة كأصله ، ولا كيف انفسست المسيرة إلى طريقين . شارع المعرفة التجارية والكورنيش ، ولا لندى جعسى على الكورنيش . لابد أنه سيد يرشو الذى أمانى

تقبلنا أزال أخرى من الطلاب تتحجم بنا ولا أعرف إلى أين تتجه هوية البحر الصاخب محمل بازرداد ويحمل فؤابات الموج يفلنسا بها فحبرى صاحبكين ويصعد حبشنا إلى الأدم . يهترق مصمم بشار ومصطفى دويش ومقهى شنوفر وتيسيس وابوسيسور . من أين أنت كمية الحجرة التى قنعناها فوق الحود الساكين ؟ كيف انصاعت لأيدينا بلاصات الأرجفة كأنها مصمومة في انتظارنا ؟ كيف صارت الساعة اربعة وكيف حوت من الدم والمخاد في محضه الرمل وأمام جامع ابراهيم وفي السلسلة والشاطبي . انتهى الحرف وحيدا من محطة سيدى جابر . شردت عنهم أم شردوا عسى ؟ كنت معهم أم سرت نصف الضريق وحدى ؟ كيف احتفى

سيد برشو عن عيسى ونقطع الخطب عيسى ويسته ؟ أذكر اني سمعت من يأمر بالعودة الى المشية مرة أخرى . من يدعو للإحتصام بالكليات . لا أذكر أني فكرت في أي من الدعوتين . إذن هي قدامى حملتاني بعيدا حول اشوارع حالية من الناس والمركبات . لوترييس محترق في شارع جمال عبد ناصر ، وبرام محترق أمام المحطة .

فكر الآن في العودة . أتذكر أن هناك قطارا يخرج في المساء من محطة مصر الى القاهرة يمر على محطة سيدي جابر ويدور خلف الاسكندرية في محطة بحرم بل ثم القباري فالمكس محترقا بعد ذلك الصحراء . ذلك شيء عرفته منذ سكنت بالذخيلة . هذا إذن طريق اليوم ولا طريق عيو . ومن المكس أمتشى الى الذخيلة .

تقدمت الى المحطة متعبا . المساحة الواسعة أمامها خالية من السيارات والبائسين . المحطة نفسها خالية . لا مسافرين ولا عمال ولا حراس . نواد حديدية وأبواب حديدية وجدران جامدة المصنوعة من الطراز . جلست وحيدا على مقعد خشبي بارد تزيد برودته من برودته . أدهشني احتياحي بعوزان جنسي شرب . الآلاف التي تظاهرت اليوم لو كنت قائدهم في مسيرة سمية كم يتوهم لي من بقود ؟ مسحت المحطة بمعنى وأنا أشعر بالبرد غفلا عنه في الصباح . فساد وديار هوائه أكاد أراها ثلجية الملوذ تملد في هياج تصير الأوراق فوق العورس والفصيان الأرضية الصلدة الطويلة الخالية ممتدة للمدى ... لأشجار القمية عارية . رجل بعيد جانا يتبول لا أرى إلا صهره أسود النياب . عش في المضاء ينفل المكان بالظلام القلدم مسرعا . هذا هو الشتاء بحق وهذا هو السفر . انكلمات واضعا رأسي لمكدود بين هدى المرفقتين . حدثت ساق في استرخاء مستسلما لتعب طبع وجوع كاسح مصطرا مطارا قد لا يحى . وأجهشت في بكاء كأنه زفير .

عاد مديري كان معاديا الى الدارفة . برقيته لم تصل فتح باب شقة بالنساء ودخل يمدوء ليعاجيء زوجته وطفله بالسعادة . فتح باب غرفة نومه فوجد زوجته تحت رجل نظرت إليه ونظر إليها . عاد يمدوء إلى الخلف . عرلت لدماء باب الشقة وهو يسر بظهوره . خرج وحبط السلم بظهوره أيق . نزل الى الشارع بظهوره ومضى في الطريق بظهوره وكل من يراه يوسع له في الزبائك ، وحطاه للندان برزا من أحد الأذقة بتابعاته . ينظر اليهما وينظران اليه . يد هما يديه وعقدان أيديهما . لا يستطيع العرف ولا يستطيع القدم عولما وكلما أمسكا يديه ألقا منهما فلا يكفان عن البكاء . الاسكندرية كلها صارت تعزله . يتسبح له الناس الطرقات وتقف له إشارات المرور والسيارات .. انطوى الرجل وطفله وأوشكت الناس عساه لكنى حطت به وقد طلق بالفضاء يدور حول الأرض ، ويقلبه يدوران حول القمر . . .

## « ٥ »

في الشتاء حين يعرود بالليل الهواء يظير الأوراق المهملة في الصفقات ، ويصرخ في الأزقة ، وتنطق الأنوار فلا تميز بسهولة بين الياس والياء ، يصبح المقهى بارده حلبة ، تمتنع عن الخروج دون اتفاق سابق .

في الليالي الدافئة متقابلين دون موعد أيهما . في وقت متقابل نخرج .  
نتقدم في الشوارع الجانبية على مهل جولر الجدران القديمة التي حال  
لونها . يحدث أن يلقى الواحد منا الآخر فجأة فيتبادلان الابتسام .  
يتصافحان بصححكان . يشيان إلى المقتضى معا . ألم يقل حسين أننا  
مصوبون على ساعة سرية . تلك قاعدة صار القدر يرتبها ، ولا يجب  
النقاء في الاستثناء .

الليلة لا سمح الطائفة التقيما ميكين . جلسنا متجاورين . تعلقت  
عيوننا بجهاز لتفريغ السمق على رف عال على جدار دورة المياه الصغيرة .

— سنبدا المسودات يا شجرة .

قال حسين . قلت .

— سأجد طريقة للاحتلال .

— لماذا لا تشارك حقا ، هل تصور أن ما حدث لك أول العام  
سينكرر ؟

قال عبد السلام مشيرا إلى والعة القبض على بعد مظاهرات يناير  
لماضي . دنت الحادث الذي أريكنى كثيرا ، والذي لم يقدنى منه غير  
شهادة رئيس مجلس الإدارة الذي قال :

— نعم شجرة متعهد مظاهرات كما بلعكم ، لكن مظاهرات مسلمية مما  
تقوم به اشركة لاستقبال سيادة الرئيس وضيفوه . شجرة أكما من يؤدي  
هذه المهمة ونحن نعتمد عليه دائما .

كدت أصرخ أنى الذى حرّجت المظاهرات جميعا . حطمت أعملة  
النور . خلعت بلاط الأضمة ، حرقنا المواصلات ولللاهي واقسام  
البويس لمسى لا أقوم بمظاهرات المسلمية كما يقول إنما أنصب وأحتال ولم  
يحدث أن أكنمت واحدة منها .

لقد قبضوا عني في الفجر بعدد من الجود امتد على السلم من الشارع

حتى السطح ولا أعرف كيف فتحوا باب العمارة التي لا يسكنها غيري  
والذى أحوص على إعلاقه بالمفتاح كل مساء . كطمت غيظي وجسدي  
أنظروا سراسي في الفجر أيضا . ثابت عياني في حى التراعنة الهاديه  
الذى لم أمش فيه من قبل . هل يعرف أحد أنه في هذا الحى الجميل تقع  
مباحث أمن الدولة . أشجار مهذبة تلمع أوراقها الرصاصية أشجار  
عارية . أشجار سامقة الزنماق . شوارع معسونة بانظر وعمال البلدية .  
بيوت محاطة بالأسيجة والحداثق . البرد لبر والسوء يندخل بنقط ربيعة  
من المطر . أسرعت واضعا يدي في جيبى بهنولوى . لا أحب البهل . لا  
اعتقد أنى سأرتدى بدلة إلا إذا تزوجت ، ولا اعتقد أنى سأرتديها بعد يوم  
الرفاق دعت وجهي ما استطعت في صدرى وبين عضدى . رأيت  
الاسكندرية في يومها لأول مرة . مستريحة هذه المدينة تنهد في طمأنينة ولا  
تدري بشيء

اعتذرت في الأيام التالية عن عدم المشاركة في مسيرات التأييد العارمة  
التي خرجت من المحافظات الى قصر عابدين . ذهب الكوروى بالعمال .  
كانت المرة الثانية بعد السادس والعشرين من يوليو الماضي . قال أنها  
فرصة لؤكد فيها كلام رئيس مجلس الإدارة عنى . ادركت أنه يؤدي المهمة  
كاملة ، وأن سرى لم يزل في البر . قلت بعد أن يمر عام على وفاة أمي .  
بدا محترما نوعي في أول مايو نقرر أن يذهب أعضاء النقابة فقط  
للاحتفال بعيد العمال في القاهرة . في السادس والعشرين من يوليو جاء  
الرئيس إلى الاسكندرية بالهليكوبتر فألبس الاحتمالات ، كأنهم يعرفون أن  
شهيتي ليست ممنوعة الحقيقة كنت مذموحا . تذكرت فررى بقتل  
عبيد الفاكهاني والمقدس يحيى شملتنى خوف عريب صرت أهد الابتعاد  
عن الناس جميعا . بل ذهبت الى عبيد الفاكهاني أرجوه أن يعطيني مهمة  
في نهاية العام موافق على الفور . بدا هو أيضا خائفا منى لا أدري لماذا .

قالت المقدس يحيى فاعرفت اليه اصلاحه فشد عن الطريق . نادته

وصاحته ورثت على كتفه وكان وجهه الأحمر صار أصفر فشجته وقت  
سأحتاج يوما لبعض السجدة فقال « ومن إشارتك » ..

الكلام جلسنا .

— كيف يفعل ذلك ؟

تسأل ما جد كأنه يحدث نفسه . خلع نظارته وأخذ بمسحها بمديل  
أردت أن أحول الجد إلى هزل . قلت لحسين :

\*\*\*

— هذا مطار القدس .

قال حسين وقد انتقل الإرسال إلى افاعة خارجية .

أشعل مارجد سيجارة .

شحب وجهه عيد السلام .

— يجون .

— ديان

— وجوبدا .. بهن شكلها

أخوار بالمقهى يطلقه الغرياء . انفتح باب الطائرة صحت عليها  
الصمت . السادات يتقدم مصافح وعشاء إسرائيل بانتسامة مريضه  
بدعب جولدا ويشد على يد ديان كثيرا . أسنانه لامعة وشاربه مهلب .  
فكرت في الشارع الواسع خفنا كيف صار خاليا وكيف لا يسمح أصواتا  
لسكان الجبل . صمت ووحشة يملآن قمصاء خلقي مع الظلام المهابط  
مسرها . جالس أنا على حافة جرف يطل على واد سهبي . دفعة واحدة  
لي اخيف فاسقط منها .

— لحن خبيث ناعم كأنه أنين العاجز للمهور

قال عيد السلام ملحقا على السلام القومي الإسرائيلي . هضر واصفا  
يديه في جيبي بصبوبه . دار حولنا مطرقا وانقطع التيار الكهربي انشم  
حسين وقال مارجد « أحسن » وشفناه ترتعشان

م ترك بالمقهى . على ضوء الشموع التي أشعلها محسن الحرسون قليل

إنشم واحمر وجهه . لم يجد الانتسامة إلى غابتها . لم يصحك ولم  
يضحك مارجد . عيد السلام ابتعد عنا يمشي مهلا في ضلام الشارع .  
بنخ كلامي . أخوض في السياسة ولا أدري . لقد تكلم حسين عن نفسه  
مرة فقال أنه موظف يحتاج لدفعة هائلة لهزج . فشل مبكرا في التعيم إلا  
أنه استطاع الحصول على الثانوية العامة بعد سن اللالين بنظام امتازل  
واختب إلى كلية الآداب قسم تاريخ وليس لديه الوقت الكال حفظ  
المواد والمجروب والدراسات التي يسو أن البشرية لم تكن تفعل غيرها ،  
فهو ينصو عامين في العام الدراسي الواحد . وهو أيضا مصاب بربو  
خفيف تخفيف لكنه ربو . ضحك من هذا الوضع العجيب وقال أنه  
لمرحيد تقريبا في هذا البلد الذي يكافح هي ثلاث جبهات ، الفقر ،  
والجهل ، والمرص ، وإدمع بالصحك وهو يقول أنه مثل ثورة ربو .. في  
دنت الوقت طال صحكنا . لم يد أنه عجلاني وظل وجهه مشرق .

طلبت من محسن الحرسون أن يحضر لنا العذالة . نعت أن يمدلي  
حسين وواحد ، لكنهما ألبلا على اللعب . أتى عيد السلام من الشارع  
نظلم « السلام عليكم » قال وصافحا وجلس ونحن نطرق كل منا  
لآخر . لقد كان عيد السلام مصا مذ قليل . هو نفسه أدرك ذلك  
لعه أدرك أنا صافحا في دهول ، لذلك جلس صامتا بعد قليل صعب  
معا . عاد التيار الكهربي والمقهى خالية إلا ما . لم يشعل محسن الحرسون  
التلغزيون ولم يصحب . تحدثنا عن التصيف وكيف مصي دون أن ينتقي  
سألنا مارجد عن أحوال الصيدلية الخلية التي استأجرها . حقق مارجد

حلمه ولم يعد يعمل عند أحد . قال أن إعلاد الصيدلية هو الذى شعله  
عنا . الآن صائر يجد وقتا بعد أن وجد صيفيا يساعده . وحلثنا عيد  
السلام عن صحة والده التى تدهورت كثيرا بسبب البروستاتا . قال أنه  
يتقدم في انشاء لكن للس أحكاما . وقال حسين لى « انت طيبا لا  
زلت تفكر فى خطة لقتل عبده العاكهاني والمقدس يحيى » . ضحكنا .  
أجل صبحكا بقوة وسأله لماذا لم يكن يأتي هو أيضا . قال « أنتم لم  
تأتوا » .



— طيبا انت حزين لأنك على الأقل حلوت مرتين ؟

قلت لعبد السلام فى الطريق . كنا تركنا القهى ولوشك الليل أن  
ينتصف . تبينا متأخرين أن حسين تحف عنا ويقف وحده ينتظر  
الأوتوبس تحت مظلة . بعد قليل دخل ماجد بينه المظلل على شارع  
الجامع . أصبحت كالعادة وحدى مع عبد السلام . نسكن لى شارع  
واحد .. هو لى منتصفه وأنا فى نهايته حين يطل على البحر .

سادنا صمت قصعه أنين مكتوم صادر من قسم البوليس . أرعشتنى  
سمة نوفمبر . رأيت المحلات مغلفة على الجانبين .

— لا .

مشينا نبتد أحبانا عن بعضنا الى الجانبين ثم نعيد فتجولر .

— ماذا نعرف عن الفيلا الموجودة بشارعنا والتى بها شجر الياسين ؟  
سأله فجأة . لا أعرف لماذا اخترت هذا الوقت .

— هل شاهدت بها أحدا ؟

أدركت أنه يعرف ما أود الحديث فيه .

— كل يوم فى الصباح الباكر أرى وجهها جميلا يطل من النافذة .

وجهها صوبحا كأنه نور نفسه . وأحيانا يحدث ذلك بالليل . اليوم  
أشارت لى بيدها .

عدنا الى البيت . الطريق صار مليئا بالحمر مجاة وأكاد أتمعر أكثر  
من مرة .  
— ابتعد عن بيت الياسين هذا .

لم نفهم . لم أشأ أسأله لماذا . الحقيقة أريد أن أسأله . أكاد لقد  
شدننى رائحة الياسين منذ انتقل من الخوب الى الشمار . الفيلا  
الرياضة خلف السور العالى المكمل بالزهور البيضاء والصفراء بدت لى  
شينا صحرىا وعامضا . يوافدها الغالية النادرة . جذبانها المستوية  
واعمدتها للرحامة وكل شيء فيها يبدو منفذا على مهل لى راحة واتساع .  
الوجه المشرق الذى أوله بالصبح والليل يحفر عيالى وفضولى . يكاد يعضنى  
عن الأرض . يحرك الرغبة اللعوبة فى الزواج ولا أستطيع التصريح لعبد  
السلام .

— بيت الياسين هذا أقدم من عمري وعمرك . أيد وأمى وكل الناس  
تعرف ذلك . ضربت كثيرا لى طفولتى بسبب نسلقى السرور وقطلى  
لالياسين . صاحب البيت وزوجته يجان العزلة فلا علاقة لهما بأحد .  
ينجيان الفتيات فقط ، ويناعما أجمل بحق الله ، هذه حقيقة . وأسعد  
الناس من هازر بمجرد الرؤية . ذلك يحدث بالصدفة ، ولا أصدق أنك ترى  
وجه الفتاة كل يوم . الرجل وزوجته لا يسمحان ليناكما بالخروج لى  
الشارع أو للخدمة أو العمل أو الانتظار عند الواحد . قد يساعدك  
الحظ مرة فى الصباح الباكر جدا ، عند العجر ، قبل أن يستيقظ الرجل  
وزوجته ، لكن هذا نادر بالليل حيث يلب الظلام الحديقة وتعلق النوافد  
العالية بالشيش العليظ صيفا وشتاء . لقد نسيت أن فى شارعنا هذا  
ليت ولا أشم رائحة الزهر . اشتقت له مرة واحدة وأنا محاصر لى الجيش  
الثالث . هل تصدق ؟ كان فى الجو رائحة الدخان والبارود وأنا أشم

للحظة كالنور الخاطف والحة الياشين . أوى والله . لكنها لم تتكرر . بعد  
أن عدت راقب الواقد لفترة . لم يسلط لي خط مثلك مع أنه لم يعد  
بالبيت عبر بت واحدة .

— كيف عرفت كل ذلك ؟

سأنته مبهور الأعاس . سأنته على الفور كأنى كنت أنتظر آخر كلمه  
يقولها .

قدان .

— الأسرار معروفة رغم العرلة . الدخيلة كلها تعرف سر هذا البيت .  
وبى تعرف الاسكندرية أيضا . هناك حركة تتكرر كل سنوات . تأتي  
محدى البيت هجدة من الخارج وأكية تاكسى مع رجل فى وضوح النهار  
وتنزل حمنة طفلا . نفس التاكسى لا يتغير . نفس السائق . تلتفت  
حولها محطات قبل أن تمتنع لها البوابة الحديدية تنفتح الى الزقند  
المهيبة والشرفات كأنها تعلق حضورها . يعرف الناس أن إحدى المقتنيات  
تزوجت منذ عام .

— عاتلة غريبة !

قلت كأنى انتهد .

— لا أحد يعرف الخفا من الصواب .

قال وينوق بمسك يسى . فى اللحظة التى فكرت فيها أن نعبد السلام  
أسراره وأسى لم أعرفه جيدا بعد رأيت قطعا من الأعمام البيضاء يخرج من  
أحد الأتوة ويثير العبار مشهد غريب فى هذا الوقت من الليل . والقطيع  
الذى صار يمر أمامنا يندو لن ينتهى .

— ألا تلاحظ شيئا ؟

— معظم الأعمام ثلاث سيقان . معظمها يهرج .

— كلها .

بحوقى . كذبت أبوح . قال عبد السلام أنه يكاد يتقيا . انتهى القطيع  
وظهر خلفه رجل مغطى بثياب كثيرة حول جسمه وكتمه وعنفه .

... إنه أيضا يمشى بساق واحدة ويقفز على عكاز .

غمرنى عرق ووجدت عبد السلام يستند على ذراعى . مشيا بصعوبة  
ولا تتكلم . كنا فى اخلاء الذى يفصلى الى شارعنا وقد تركنا الدخيلة كنها  
تقريبا خلعنا . احسست كعادنى بأعنى يسبقى ليشم رائحة الياشين قبل  
أن تصلنى . وتيقنا . تاكسى مطما الأنوار يقف أمام الميلا . البوابة  
الحديدية تفتح وراها تخرج مرتدة ثوب الزفاف الأبيض الواسع يتخايل  
ضوؤه وسط الظلام والتاج على رأسها ترق به الفصوص البيضاء أيضا  
وجعلها عجوز يرتدى حلة قاتمة ولا صوت . رأينا السائق يفتح حما باب  
للتاكسى ورأيناها يدخلان وحما البوابة الحديدية تعلق وتحرك التاكسى  
مهلا على أرض الشارع غير المسهدة قادما نحونا . لم أشتأ أن أنظر الى وجه  
عبد السلام ولمله كان غلى . ما كاد التاكسى يتجاوزنا حتى التفتنا معا .  
رأيناها نضل علينا من خلف الزجاج . تنظر الى أم الى عبد السلام ؟ لا  
يقن . لم يفه أحدنا بكلمة . صرت وحيدا بعد لحظات . كيف تخلف  
صديقى هذا مزلة لا أحس به ؟ هل يدعنى ويسيت ؟ لماذا أكاد ألتفت  
حول ؟ لم يكن معى شيء وضاع . صعدت شفتى وفتحت النافذة . يا  
الله . أنا أيضا لم أشعر بيوله البحر البارد عند مدخل العمارة .

تطلعت الى كتلة الظلمة الممتدة بحجم الكوب وصوبه السلبية البعيد  
لشاحب المزهرق . هذه السمينة تقف عند شهر بخارج البوعاز . على  
يقين أنا أنها هى نفسها رغم أنه لا نوه فى الجو ولا عواصف . وسمعت  
صوت اللوج . غاضب . قانع . متحادل . لا أدرى . لو الفى يعنى على  
لنصخور الخشنة الصلبة . سأسوت . ليكن . هذا الماء العبي لا يفعل  
شيئا غير لك والجزر طوال ملايين السنين ، ووحده ، مع نفسه ، لا  
يشاوك أحدا فى شيء ، ولا يبال بالسفن التى صارت تلوس بوقه ، ولا

بالعنايات التي تلقى فيه ، ولا الأسماك التي تتلحح تحتها . هل يضير العالم  
شيئا أن يعقد أحد أبنائه المتهملين ؟ .. لكنني فكرت في استقبال المعتاد  
من القدس بعد أيام ..

«لماذا لم يعد هناك حديث للناس عن الشيخ لاشين وأعط  
مسجد سيدى القباوى . صار يوم الجمعة كيوم حرفة من حرفة  
الزحام بالجامع وفي الشوارع وفي أسطح المنازل . الجميع  
مأخوذين من عطف الشيخ الثانية وعرفته فيما لم يعود الوعاظ  
الحرف فيه . صار معروفا أن الشيخ لاشين لا يقترع بالخطبة المقررة  
من قبل وزارة الأوقاف كما أنه لا يهتم بل يهبط خطبه من كتب لا  
يصل إليها أحد

عند أصبح لنرى عظيم بدهاء قال فيه : اللهم انصر أمة  
الإسلام على جيوش القردة والطار ومن يلى منهم . اللهم أهد  
علية المسلمين للمسكنى بالله سليمان وبارك له بنى العباس .  
اللهم أهد سلطاننا الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون  
وعساكره . ولا يزال الزحام ... »

## منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« ٦ »

ما الذى دعنى الى هذه الجولة ؟ . هل هو لعزيت الياسمين ؟ هل  
أملت حقا في فتاة النافذة ؟ . لو صح ذلك مسوء الحظ صار يلزمى  
وإذا كان موت أمى جاء عتاقها على خططى في الزواج ، مسوء الحظ بأن

عفاها على موت أسي . أقي دائرة جهنمية وقت بها . لعاني لذلك  
ترددت لكن ما كانت الآتوسسات لثلاثة تصل دمنهور حتى أوقفها .  
انتحيت بالأسطى زبهم جانب الطريق . قبل أن أتكلم تكلم .

— قلبي بأكسى هذه مرة ؟

أصايب بالصمت . قلت :

— وأنا أيضا بكرى منعود من هنا ولجئت ما يحدث .

أشرت الى السائقين الآخرين فاحسنا إلينا . الأسطى عباس شاركني  
من قبل .

قال الثالث :

— متأخذ جنيرين من كل عامل فتعير ثمانية ، تعطى كل واحد

مائة ، وتأخذ خمسمائة لنفسك ؟

— إذن لا تعترض على لبدأ ؟

— لكن القصة بالمعروف .

— تأخذ المائة جنبه أو لا تأخذ شيئا .

وكأنني لمررت الانحدار عدد من العمال ينظرون البيا من خلف  
النوازل ويضحكون . تكرير خروجهم معي وهم في العادة يتزبون إقناع  
الجدد . عددا من دمنهور . أعطيت كل عامل ثلاثة جنيهات من الخمسة  
التي تقررت له هذه المرة . في الاسكندرية أخذ السائق المعرض المائة جنبه  
وأنصرف ضاحكا . كنت أدرك أنه يبه ويبه نفسه سيقل ما أعطيته له  
وسيفطر أنه لن يستطيع إنشاء سر يستعد أربعمائة عامل وسائقان  
لإنكاره . في المساء ذهبت الى عيده الفاكهاني .

— نشترى مني البيت لصالحك وتترى عرتين ثم تبعه بثلاثة آلاف  
جنبه قبل أن يندور للعام . لن أدفع لك شيئا وسأعرف كيف أخذ منك

ما دفعته كله .

قلت ومضيت . تحيلت في يدي شطه نار أجرى بها مجبونا أحرق  
اليوت والخللات ، وهروا هو كثيرا جولاى ورأسه لا يكاد يصل الى  
صلى ثم وقف أمامي فأردا ذراعيه إلى الجنبين . صرة فوق رأسه تبعثر  
عنه . فكرت وكان يتسم هجوى . عدت معه إلى المحل والساحل صرح  
على المشهد العرب .

— من الذى اشترى البيت بثلاثة آلاف جب ؟

— أحمد كاريوكا

— وهل يملك ثلاثة مليحات ؟ . هل تصدق ؟ لم أنه مضى وقت

طويل على ذلك أنا لم أطلبك حتى الآن بهائى جنبه ، ولقد مرفت  
إيصال الأمانة .

وكان يتسم وهو يتكلم واقفا من نفسه أشد اللفة . جيسى أكر أن  
أحمد كاريوكا هذا يقوم بتصليح وراير البحر ، ولا أنه يكسب في هذا  
الزمان .

— باستاد شجرة أنا لى اشترى البيت أول مرة بالنعس ، وأن يصب

أدى اشترىه ثالى مرة . لفتنر يجرى وأحمد كاريوكا وامناهما لعب في  
يدي زبنة

— ماذا تقصد بالصبط ؟

— أولا بينك لم بكرى يستحق أكثر من الب جنبه ثابا أنت موظف  
لا تدخل لك بما فعله . وعلى كل حال ستعرف بعد أيام .. ثم أسي  
أشرت بقية شفق العمارة بثلاثة آلاف جنبه مشقة الوحدة بدر  
أكرمك . تستطيع سؤال البكس عن ذلك .

كان يزداد اجساما وهو يتكلم وأنا أكاد أقف على أصابع قدمي .

— هه .. السكان كلهم في الدول العربية .



— ياسيدى مصير البترول بخلص ويوجدون . البترول ليس إلا بتر وكل  
 بترونه قرر . وربما تقوم حرب وتولع الدنيا ..  
 — هل مرفت فعلا بإصبال الأمانة ؟  
 — كما نحب !

وظل مبتسما . ألقبت إليه بالماتكى جيبه فأخرج الإصبال من جيب  
 صدره . رأيت أظافره حمراء . مشيت ولا أعرف لماذا كنت أريد أن  
 أصحك !



— كم حسابك فى البنك الآن يا ... شجرة لهندى ؟

سألنى رئيس مجلس الإدارة بعد أن وقف وفار خارجا من خلف  
 مكتبه . نظرت إلى الذكوروى الذى يقف مكشفا جوار المكتب بعض  
 على شفته السفلى .

— أى حساب يا اللندم ؟ أنا ليس لى حساب  
 — تأخذ نصف ما يقرر للعمال وتعود بهم من منتصف الطريق ؟

ابتلعت رهنى لثم أجده . لم أريد . كان يقترب منى موشكا أن  
 يصلحنى .

— وأنا أخصمتك من المباحث . أنا للذى كنت عميدا فى الجيش لم  
 يضحك منى اليهود وتسخر أنت منى . سأعرف كيف أسجنك .

كان يتكلم وقد دار حول نفسه يعود إلى مكبه . صوت نظرى حادا  
 إليه بعد أن جلس . الحليفة كنت مصعوقا من المفاجأة . إلا أنى رأته  
 بخص عيبه ويرعى مرفهما هديه . أصابنى ذهول وأدركت أنى متصر .

— أن لا أفعل ذلك وأظن أنه سبق ووصلكم خطاب شكر ، كما أن

الذكوروى خرج أكثر من مرة مع العمال ، ولو كنت أفعل ما تقوله لكأن  
 عرف شيئا . هل عرفت شيئا من ذلك يا ذكوروى — ولم يرد  
 الذكوروى — ونحن هذه المرة نعبأ كثيرا حيث لم يستعبد أحد موقفا فى  
 طريق مطار القاهرة وحدها . كانت هناك موصى ولا أحد يعرف المشاركين  
 الحقيقيين

استعنت باستمرار فى هذا الكلام كله . لابد أن أحدا غيرى هو  
 الذى مكلم وجه الذكوروى فنقلب إلى صبرار نافع ونجيبه بكاد  
 يتلانى كان كلامى عن طريق المطار كما رأته من صور تصدث  
 الصحف بعد عودة الرئيس

— إمشر إمشر من قدامى  
 صرخ فمشيت وحلمى يبرع الذكوروى على السله أفسدت بدراعى  
 مضت يده عنى وتركته مذعورا

احتفظت بالاشمالة جنبه الباقية معى عبيد لأى عقاب . كل من  
 بالإدارة من الرجال والنساء يقاسى ميمسه لى وجهى أو لى الأرض دار  
 الخمر كما تصور الماكينات إذن وثقت فصيحنى اكتشمت لى أكثر موظفى  
 الإدارة يعرفوننى من كثرة ما واجهت من اتهامات وأنا الذى تصورت  
 معنى مغبيا لطول عملى بحجرة ليس فيها غير المذبات جدران المسائق  
 الثلاث ليقسم لى أنه ما أبلغ أحدا بشئ . وأبدي استعدادى أن يعيد لمالة  
 جنبه قلت أنا للمسؤول أولا وأخير وأنه لو أبدي رعبه هذه أمه أى أحد  
 سصيح كنا وربما كان أقل جزاء هو الفصل من عمل لى النساء  
 اعترض عبيد الماكينات طريقى وقال ضاحكا .

— بعد البيت بعشرة آلاف جنبه .

— وما شأنى ؟

— ألم أقل لك متعرف بعد أيام ؟

لو أفسكت وجهه يبدى سأعصرها عصرا

— لنصك أيضا ؟



تعرفت لحسين وواجهد وعبد السلام بكل شيء . فكرت كثيرا ألا أعمل . هل كنت في حاجة لأن أزوج بعض اعمى عن نفسي ؟ . وكنت أقطع الحديث . وكنت خائف أن لا يفهموا مما أقول غير الحقيقة ، والحقيقة أني لست . تكلمهم ضحكوا . ربما يحافظون على مشاعري . تكلمهم استمروا يضحكون . لم يستكروا لي صلت غردلة . في كل ليلة صاروا يطلبون أن أحكي الحكاية من جديد ويضحكون . قلت أني بقدر ما أشاركهم الصبح أخاف كل يوم أذهب به إلى العمل . رئيس مجلس الإدارة يستصيح عن الأكل أن يجري على دفع ما أتحدثه من حقوق العمال عن كل مرة خرجت معهم ، وفي هذه الحالة لا يكون أمانى إلا أن أعيد الشقة للعبه العاكهاني وأهيم في الطرقات .

قال حسين أن الناس سرعان ما تنسى للمضامح ، وقال ماجد أنسى وما أجد من يؤيدني ولو لي سره ، وقال عبد السلام ربما يأتي يوم نصبح فيه حكيمى بطولته يحكيها الناس كحادثة من نواصر الشطار ، ثم ذكرني حسين بأن أسبوعين قد مر على مقابلي لرئيس مجلس الإدارة ، وأنه لو أراد أن يفعل شيء لكان فعله .



فندحت بالثلاثمائة جنيه حسابها في البنك لأول مرة في حياتي . لم أصدق وأن أقرأ جريدة الاهرام في التوتوبيس . قرأت الخبر أكثر من مرة . أخذت . متعبد لفاعه في وكيف بدا مهتزا وهو يهتفي . لابد أنه كان يعرف . مسكين حقا

— أنت محظوظ بأشجرة

قال لي الدكتورى الفنى أتى إلى مكنتي ظهرا . أخفيت ابتسامتي

— كان رئيس مجلس الإدارة في وضع صعب منذ مظاهرات يدير اكتشفت مباحث أتم الدولة أن الشركة وكر للشيوعيين ، وأن سيد برشو ليس له وجود أصلا بين العمال ، وبالمسألة لم ينفروا عليه حتى الآن ، وهذا الأسبوع قبضوا على ثلاثة عمال هم صلة بتطلمات سرية .

— لم يكتب مذكرة بالموضوع . هل يعرف رئيس مجلس الإدارة الجديد شيئا ؟

ابتسم وقال :

— لا . أنا قادم من اجتماع معه . دعاني ورؤساء الاسام في أول يوم عمل له .

قلت لنفسي : لقد نجوت ، وقلت للدكتورى :

— أنا لن أشارك في أى مسوات بعد اليوم

وأصغت إلى الثلاثمائة أربعين جنيها بعد صرف مرتب شهر مكانة على تدبير سفينة جديدة ظهرت في الصحف وجوارها رئيس مجلس إدارة اجديد مبسما . لف الاسكندرية الشتاء فتم أعد أحاديث الشقة بالساء

فكرت أنور أمى بعد صفاء الجو . أمى مدعونة في مقابر هامود السورى مع أنى في مفيوة عامة لأبناء بلدة الدخمون الذى يعيشون في الاسكندرية . لم أر بلدنا في حياتي وإن كنت أعرف أنها تابعة لهافصة الثرية وتقع بين كفر الزيات وطنطا ومها عرج عمر لطفي مؤسس الحركة القنانية في مصر ! حفا الجوى فسيت . ربما لكبرى للمناير . وبالمنهى قال حسين :

— يتشاع أن رئيس مجلس الإدارة الجديد جاء ليعذب العمال على مظاهرات العام الماضي .

قلت :

— لقد صرح بذلك في اجتماع عام ! . أول قراراته كان إلغاء الاعضاء

المؤقت من السعيد الذي يُسمح للفقير بالشركة باعتبارها مشروعة  
استراتيجية . الآن أكثر من ثلاثة آلاف في استدعوا إلى الجيش في شهر  
واحد . بعد فدهور الانتاح غلما

كان واحد مشغولا بالنمب مع عبد السلام فقال بعد أن ضغط نظارته فوق  
أفاه

— المسألة ليست المظاهرات . المشروع في الأصل سوفيتي .

— الحمد لله « باننا » ايقنا

هتف حسبي ضاحكا فاطلقا فضحت بصوت أميك الجماهير .  
وقال ماجد :

— لو كان باننا سوفيتي كانوا ضربوك بالجرح . كانوا ضربوك أنت  
بالدات . بهر . تحير مصك — وأخذ يشر يديه إلى حسبي وهرم  
خرمطة في العضاء وأنا وحيد السلام لا يكف عن الضحك — أنت تقف  
وسط الجود الجود حدة لمسكوا جزمهم بدلا من التناق . أنت تركر  
عن ركبتيك مؤثوق الدراعين خلف ظهرك معصوب العين . صفا .  
انتباه . اهدف ثورة يونيو المشهورة باسم حسين . غمر اضرب ..  
كنا سقط من فوق القاعد . ماجد له وجه طفل بريء . يبدو جادا في  
كثير من الأحيان ، ودا تكرت تجد أن كثيرا مما يبدو جادا فيه لا يستحق  
هذه جدية ، لكنه أيضا إذا هرل اندفع بضحك بكل طاقته

قصت انمطى بطهرى الذي شعرت بتعب فيه من مره اغترارنى وأنا  
اضحك ، وضحك الجالسون من ضحكنا ، وضحك حسبي الجرسون  
الذى لا يصححت أبدا فدفع بضحكنا أكثر يقولون أنه مد تزوج  
اكتأف بعد ظهره على روحه بعد ثلاثة أشهر من الزواج علامات عرية  
في صوته وجسدها انتهت بأن تحولت الزوجة الى رجل ! .. قال عبد  
السلام لحسين الذى أحمر وجهه كثيرا :

— أنت الذى وصفت نفسك بثورة يوليو .

وجدت نفسى أقول حسبي يهوى :  
— بالمسألة ، لماذا تخلو جرم الشركة من الدوق ؟  
— أزمة هوالب باشجرة

ثم مجد ماجد يتا ، أمك يضنه والحنى يتعمر ضاحكا والجانسون  
العراء يتابعون مشهدنا العريب . سألت يوقار وكنت متعمدا . أجاب  
حسين بعين الطريقة وكان متعمدا . تحول السؤال والإنجاة الى هرل  
كامل .

سعيد أنا حقا بسدادى لديوى ، ولفتاح حساب في البنك ، والخسار  
المضحية . والإنكالات من العقاب ، وكنت قررت جادا البحث عن  
زوجة . ليس معقولا أن نسيبت في موت أمى ، ولا معقول أن الله يحاسبى  
على إرادته . نجوت من كثير من الشرور بسهولة . وهذا يعنى أنه في  
جاسى . وفكرت أن أسرع في التجول بين الإدارات العرقية بعيدا عن  
مجرى الذى تحاصرني بالتراب والمفحات أتشم رائحة أحسن الآخر إلا أنى  
تكرت الآن صط . وعلى المنهى في هذه اللحظة ، أن يقربا أعرف كل  
نوصدت بالإدارة ، وأنهم جميعا إما متزوجات أو عظميات . أجل . خمس  
سوات مصت لا تطلب فيها الإدارة موظفين أو موظفات جدد ، وليس  
من المنقول أن تبقى خاة بعد العمل خمس سنوات بلا خصبة أو زوج ،  
هذا بالك وأكثرى نعنصر قبل خلعت بكثير . لكن عبد السلام قد بعد أن  
عاد ماجد :

— يبدو أننا منصاب بالجنون ، هذا الصحت غير طبعى .

رد ماجد وهو يقاوم انصحك ويحفظ السمع من عيبه بعد أن صمغ  
غزارته :

— ولماذا نذهب بعيدا . الدكتور موسى الدند يصل ملى في الصيدبية  
يشتم الناس والفند طول البهار ويقول ما يال هؤلاء المرصى لا يشمون وما يار

السنة لا تقتهم ويستريح ، ويقول أيضا أنه لم يرتاح إلا إذا سافر إلى الكويت بالذات .

وعاد بصحتك ونفاج نحن الصحت فقال حتى  
— أنب تعمل مع الدكتور هتلر ولا تفرى .

ولكن لم بصحت هذه المرة . قال عبد السلام :

— بالأساسية .. لقد قررت السفر إلى العراق .

فبدأ صمت صمد غريب كأننا لم نكون نعرفه منذ قليل .

• ولد طفل بذييل حراء عادي يمكن أن يحدث . بعد اسبوع  
عرفت الامم المتحدة أن الحادثة تكررت فبدأ الناس النقاش . ما كان  
اسبوع آخر يهوى حتى شاع أن امرأة ثالثة لميجت طفلا بذييل  
أيضا ، وسرعان ما صار معروفا أن مستشفى الشاطئ امتلأت  
بالاطفال المولودين وهم طويون . تمت كل حامل أن يسلط جينها ،  
وبعضهم من وعن يحاولون ذلك ، وقيل أن العالم علم لغة  
فانفطعت الزيجات . وصار القوي من الرجال لا يعاشر زوجته ؛  
والضعيف يرسلها لأهلها أو يطلقها حتى يمر العام . •

« ٧ »

• تخرجت من كلية الزراعة فلتفقي العيش . هرسى في حرب  
حاصرت في الثانية . لم أحرز ولا أصابي ضحر . لكني وجد مرحب  
بجئت كأني في راحة والدي هذه التي يحفظها الله لنا جميعا في راحه .  
بل تحسب أن تحب • الطاولة • أو الجلوس بالمقهى ؟ . هل تحسب أن

مكتبة العرب

<http://library4arab.com/v>

مستمر بعد ذلك ؟ لو حدث لاكتملت للأسف . الطبعي أن تترك .  
يشق كل ما نلصقه حياة ويذكر الآخرين لكنا لا نستطيع . ليس لأن  
للحياة صعوبة ولا تريد عن شوارع واحد وصحة ألفة ولكن لأنه لا يوجد  
أى م موضوع يسمى وراءه . هل تعرف لماذا يصعب حسنى على  
الدراسة في هذا العمر ؟ لا تقل للحصول على مؤهل جامعي . مقيمة  
مؤهل جامعي في زمن فيه عبء التفكير ؟ . حسنى إن لم يعمل ذلك  
سيجد وقت يفكر فيه في نفسه !! وأنت . لديك شقة ، ووحيد بلا  
عشاء ، وبذلك أيضا لا تريد أن تشق نفسك حواء . لماذا لا تتزوج وقد  
قطعت أصعب خطوة ؟ . هل تحيا حياة لهذه . لا أعظم . وهي أيضا  
ليست ليبعة . لكن بلا دعم . لابد أنك تعرف ذلك ولا تريد أن تواجه  
نفسك . الوحيد الذى وجد موضوعا لحياته هو ماجد . أصبح يدير  
صيدلية هو صاحبها . لكنها بدلا من أن تصبح موضوعا لحياته كما  
ينبغي ، أى قاعدة يقف عليها ، أصبح لا يتركها إلا في القليل البادر .  
صدرت الصيدلية حياته نفسها يختبئ فيها من الدنيا أنا مثلكم وأريد .  
لا أجد شيئا يهزمنى أو أهزمه . عمل روتيني في تفهيش وراعى برشيد  
أكسل في معظم الأيام عن الذهاب إليه ، فأنا حتى الظهيرة ، ولا  
يهاجس رئيس . لو سألتنى عن الزراعة لوجدت أن نسبت كل شيء . لو  
سألتنى عن عمل آخر لفلت لك أنى مهندس زراعى عمر جينا لنا  
باجهين لى شيء . ولا فاشلين أيضا . تقف وسط الفضاء الفارغ .  
خرجت من الجيش الذى لا أحب الخوض في تجربتى فيه . لا أعرف  
كيف نجوت . هذه هي الخلاصة . أحاول أن أصعب ستارا من حديد بينى  
وبينه . ولقد نجحت إلا مع شخص واحد . جدى صغير النحى بالجيش  
بعدى خمس سنوات . شدنى وجهه الطويل الحليل . صوته المداىء  
امرج . وكنت أحس به دائما أكبر منى

كان يملأ مخادف عكايات من كل عصر وكل بلد . دائما تجد عنده رواية

نقرأها . كدنت لا أصدق أنه طيب . قبل الحرب بأيام امردى بعد  
متصف الليل . قال أنه من الضروري أن نلتفى بعد الحرب . قلت  
« موافق . بعد الحرب » . وكنت أجسم . قال انه لا يهرل والحرب بعد  
أيام كيف عرف ذلك ؟ أنا وآلاف مثل ملنا المشايخ العسكرية  
والانتظار ولم نر حريا في الاتفاق . كان محتفيا عن كل من عرفت . لم يكن  
على اتصال بأى جهة يمكن أن تبلمه بموعد الحرب . مجرد جدى عادى  
كان . والحرب لم نعرفها إلا وقت بدتها . لم يعرف بها الصباط أيضا .  
ولابد أن الشعب نفسه لم يكن يعرف . لابد أنك قرأت شيئا عن ذلك في  
الصحف . سألك لماذا يريدنا أن نلتفى بعد الحرب . سألتى ماذا فعل في  
الأجازات . قلت أرى أمى وأنى وأخوتى والعب الطاولة مع اصدقائى وأدم .  
قال عما يتحدثون ؟ قلت في المقهى نلعب رلى البيت بشاهجون . قال  
بين الشجار واللعب ضاعت حياتنا . البلد نفسها ضاعت ولابد من  
انقاذها . وقال ببساطة شديدة ادهلتى اننى : معه ، نستطيع أن نلصق  
ذلك ، واننى الوحيد من بين الفئات الذين قابهم في الجيش الذى أصنع  
لذلك المهمة . قال أنا سنهزم اسرائيل . ليس لأنا أقوى منها ولكن لأن  
سمحاب بروح المتحمر . الخنادق والتدريب المتكرر لسنوات بهذا الطول  
تجعل الإصهار حياة حقيقية . متحارب لأن سننتحر . الانفجار أيضا  
يمكن استثماره . هذا ما سبحدث بالضبط . وقال مرة ثانية « بعد أيام » .  
كنت أرتش من جدجه وكنت ابكى معه حين بكى . ليلتها لم أقم .  
ليلتى بعدها لم أقم . في الأيام الأولى للحرب بدت المعارك كالأحلام .  
كنت نائما وأنا أغير . نائما وأنا أجزى فوق ومال صباء . ولدت مرة بوقت  
طويل . كانت غلة شديدة فوق موقعنا الجديد على الضفة الشرقية . انتهت  
الغلة وحلوا القتل وأنا قائم نوما حقيقيا وعبروا بهم الى الضفة الغربية من  
يومها لم أراه . لم أعرف صفة لأن الجود لا يكون . لكنى كثيرا ما تعذبت  
بالسؤال . هل أنا قادر حقا أن أقود ثورة في هذا البلد ؟ ولماذا ؟ أنا  
شخصيا لا أشعر أن هناك مشكلة عند أحد . كل من أعرفه يدير أموره

بطريقة ما ورغم ذلك كثيرا ما فكرت في هدف أثير آموري نجله ولم أصل لنتيجة خرجت من الجيش فاكشفت أني تجلوزت الثلاثين ثلاثين سنوات . حتى الأرياء وسريحة الشعر وتسوية السوالف تميزت لا يستطيع من تجاور الثلاثين مجأة مثل أن يعمل شيئا . لكنك أنت أنت يا شجرة ومعك موجد وحسن المخطون الحقيقيون لانه كانت لكل منكم الفرصة كاملة في إحصاء السين ، ولك أن تعبري مجونا إذا شئت .

كان هذا آخر ما سمعت من عبد السلام في الليلة الأخيرة قبل سفره حين ابردا في الطريق . كنت دائما بعد بيت الياسين منزلا مظلما إلا من صوء محروق خفيف اسود فكيف تلفاتها عن الكلام أسألت نفسي عما عسى يفكر فيه عبد السلام حين يمر فبيت وأقول لعله يتساءل مثل عسى ! بعد سفره قررت أن أذهب الى شقني من الشارع الموازي ، ولا أمر بيت الياسين مرة أخرى . كنت أحسب أن عبد السلام مثل آلاف الشبان الذين يسافرون لتدبير طائل اللازم لاستحار شقة والزواج . ادركت أن ذلك ليس هدده ، ولابد أن تواضع حال أسرته لا يصايقه ، فهو لم يذكره في حديثه من فريب أو بعيد . في لحظة فكرت أنه من نوع سب برشو ، لكن الأسى الذي يندب كلماته جعلني أدرك أنه مختلف . نوع يسعني على عقل . وهو ليس مجونا في كل الأحوال . إنه مثل عشرات الشبان الذين يلقون شاربين على محطات الأوتوبيسات لا يعاود بالشمس فوق رؤوسهم ، ولا يدركون أنهم لو تحركوا قليلا سيقفون تحت المظلة . تنهت الى هؤلاء فعناء وكثيرا ما أمسكت نفسي مثلها بالطر الى المحطات احصى الواقفين بيدي اليمنى لمظلة . وقد يكون عبد السلام مختلفا ايضا . خفيته اني عاشر عن فهمه . احبته قبل أن أراه ولم أزد أحبه . تلقى ماجد مع رساله أحضرها معه الى المهدي ففرقا أنه وجد عملا في منطقة تسمى ( الخالص ) ليست بعيدة عن بغداد في محطة للصوبات الزجاجية . سمعنا عنوانه وفي بكل لقاء تحدثنا عن ضرورة الرد عليه . كل ما يقرر أنه سيعمل ولا يعمل . بدأ أنا لا نذكره الا حين ملغى . نوع

من الإحساس بالذنب . ربما . راعها رغبة أن يبرء كل منا نفسه . كان إنشاء قد مضى وأنصيف . في عيد العمال ذهب أعضاء اللجنة وسدده كالعام الماضي . في السادس والعشرين من يونيو جاء الرئيس بدهيبوكنتر فاعيت الاحصالات . يقرأون أنا هذه الجليل أكثر أهداها اليه يكسون عام ١٩٧٤ . يلقطاعة ما أوجته . نيكسون يدي الرئيس طائرة لينقل بها فاعيت الاحصالات ويقطع رزق السنوي . لكي سق وقررت أن لا أخرج بالعمال ، ما وجه العيظ ادن ؟ . ماجد صار كثير الشرود وفرت أكثر من مرة أن أسأله في ذلك ونالما أنسى . لكنه حل اللع أول يوم من شهر أكتوبر وقال كمجذوب :

— صحراء حضراء العيون سوداء الشعر علامية هل هناك أجهل من هذا ؟ . قالت أنها طالبة في كلية العلوم . ثلاثة لقاءات وأخذت عقل ونسي . في الأول اشترت شامبو . في الثاني ضحككت وتحدثت قليلا . في الثالث جازني نيكى تطلب مني توصيلها الى بيت عمته التي معها عداها ولا تعرف كيف تصل إليه . جاءت من القاهرة للمضي الصيف عند خالها لكن زوجة خالها أساءت معاملتها . قالت لي أنها لن تترك بيت عمته وتسلم الى القاهرة قبل أن تحصل لي ، ودا سهرت سنراسسي مضى شهران الآن ولم تحصل لي نو تراسلسي . سأسافر إليها القاهرة

— وعنا ما جعلك شاردا ؟

تسأل حسني ظم يرد منجد . سافر يمينا عا يمينا بدا من وجوهه صار يسافر كل اسبوع ويأتي ليقول :

— لا أعرف ما إذا كانت بجامعة القاهرة تم عبر شخص \*

ويسافر ويعود .

— لم تقل بأي سنة دراسية . قلت المصوم وربما حالت دور شعوبه ولا أدري

يسافر ويوجد .

— دخول الجامعة صعب . الحرس الجامعي والأمن . الجامعة قلعة .

انسى آقف على الباب أسأل الطلاب . هل أنت من كلية العلوم . الجامعة  
الماهرة أكثر من باب . انسى خائف .

وظل يسافر . قلت لقاءنا . طاردا الشتاء فاطمعت .



دخول الذكروري حجرتي ضاحكا وقال قبل أن يلقى التحية .

— أما آن الآوان أن تترك هذه الحجرة الممتعة ؟

تأملته في المسافة من الباب الى المقعد الذي أمام مكثي . قلت

— ذكروري . أنت نقيب العمال طبعاً ؟

بتسم . بدأ مذهشا كطعم ثم أحمر وجهه الشاحب .

— هل تسخر مني ؟

— اطلاني . لكن خطر لي أن أسألك لماذا لا ترتدي « الأومول

مرة . أنت غني كهراء فيما أعلم .

صحت .

— معك حق ، لكني سبت الكهرياء . مشاكل العمال كثيرة مع

الإدارة وأنت تعرف

انسمت . يقول دائما عن أشياء لا أعرفها أني أعرفها . قلت .

— لماذا تهمل أن تترك هذه العرة ؟

— هذا طبيعي لأي إنسان . أنت تعمل منذ عشر سنوات . من

حققت الترقية وطالب موظفين جدد يعملون تحت رئاستك . هكنا

يسوونك . اكتب لي شكوى احققها لك .

صحت . قدمت له سيجارة فقال انه اقلع مؤخرا عن التدخين .

اتدخين صار بالصحة ا . وهو أيضا يريد أن يقتصد ليوم ما يساعده  
على الزواج الذي تأخر فيه كثيرا . وقال :

— منكوب استعالات الرئيس جبارة هذه المرة . احرائد تفعل أو نفذ .

كاتب ديعيد سبي الصراخ العرق الامرائيل الى الابد . سيدعوه التوقيع

على المعاهدة بعد غد على الهواء مباشرة . استمد .

— هل سأخرج أنا بالعمال ؟ تعرف أني أقفعت عن ذلك .

— خروجك فيه رد لاعتبارك . حقا معي وقت طويل على ما حدث ،

لكن رد الاعتبار مطلوب ، ولا نسي أني قلت لك أن ريس مجلس الإدارة

لا يعرف شيئا عنك . يجب أن تخرج ولو مرة واحدة حتى ينتهي أثر

احداثة القديمة تماما بين العمال والموظفين .

بعضى وتركنى أفكر فيما يفعله معي بالضبط . كيف يعرف أني لخص

ولا يندى دهشة أو اعتراضاً ، وكيف يفكر في رد اعتباري رغم مرور عام

بصفتي نقيباً وهو وقت كاف هو أى أثر لحكاياه لا تعنى أحداً في

احمقة . وهو ايضا يريد ترفيتي لانه أن الذكروري هذا رموز للعناية

الإلمية . نبي ولا أعرف . وصلت أنه فعلاً يقتصد بهروج . امتلأت

بالإنعاق نحوه ، وازداد حتى له ، وأحسست أني بحاجة فعلاً إلى رد

اعتباري



قبل موعد السر يوم طلبت الأسطى زهم يا شيمون فحضر و

مكثي . قلت بحسمائه عامل هذه المرة وأربعة سائقين . وحينه يعرف .

سألت عن السائق الرابع الذي يخرج معاً لأول مرة . قال أنه سيتولى أمره

أنهت أن يحضر إلى وحدته في الخامسة صباحاً بميدان محطة مصر ، وأن

يرك الأتوبيس أمام بيته ، وأن يتجر السائقين الثلاثة أن يحضروا بين

السابعة والسابعة بمقهي « الأقنص » ، وأن يتكروا الأرتيبات مرة بيوتهم

أيضا لو في أى مكان يختارونه بحيث لا يراها أحد من الشركة ولا يكون هناك احتمال واحد لذلك . و لكن غصى اليوم في أى مكان ؟ سألنى . قلت : مسى المهمة قبل أن تبدأ . انضم وسألنى عن الوجبات الجاهزة التى سنكون محملة معه قلت صاحكا : معها وانضم حقها مع السائقين أو كرمها .

في الخامسة صباحا كنت أقف مرتديا بلوفرين ، وأكاد أدخل في بحصى من برد مارس ، والظلام لا يريد أن يتزعزع . وصل الأسطى زتهم متكوراً في حجم صحن بسبب الملابس التى كرمها فوق لحمة التكرج أصلا فوق عظامه لبدأ و يتدحرج . أعطته أربعة كشرى بأسماء العمال وطلبت أن يشتطب اسم العامل الذى يتسلم أجره . لابد أن مشهدنا كان مموزا في الميدان التام لسكمش بردا فاستدل علينا العمال بسهولة . صرت أسلم كل عامل ثلاثة جنيهات يشتطب الأسطى زتهم اسمه . في السادسة والنصف التقيا بالسائقين الثلاثة بمنهى الأتطع وانخرفة بدأت تتأخر في الميدان الذى يستقط كسولا من حولنا .

— أستاذ شجرة ... نحن نحبك لكن الظروف صعبة هذه المرة . قال السائق الذى اعترض على المائة جنيه في المرة السابقة ثم أخذهم ، والذى صبر عن تعامله معى حين اتكشف أمرى فأنى عرض ودهم ، وأكمل .

— نريد مائتى جنيه لكل منا

رأيت السائق الرابع الذى يخرج معنا لأزل مرة يشرب شاييا بالخليب في استعراق على منصة بعيدة كأن شيئا لا يحبه . الحقيقة أيقظ صوته غوى . بدأ في محرمأ يلينا عينا في الإجمام .

— تمرد هذا ؟

— سمعناها لك المرة القادمة .

أجاب الأسطى زتهم وهو ينظر في الأرض . هو إذن الذى خطط

للمسألة هذا المعجور المتكور مخفيا في الثياب . كنت قررت أن أعطي كل سائق مائة جنيه فقط واحتفظ بستائة لي بعد أن استقطعت من كل عامل جنيهين

— وإذا رفضت ؟

— لن نخسر صداقتنا . سترك المبلغ كله

قالوا بعريا معا . سنتركون لي الجزية كاملة أدرك ويبدو أن وجهي حمى بشائر الموافقة رأيت الأسطى زتهم يتسم ، وسمعت السائق الخديد يقول — الرئوس حمى ، والشعب حمى ، ومشاكس مع النور بالكميم ، ولن تنتهى التظاهرات ولا الإحتفالات

تكلم الوغد حاسما وعند يشرب الشاي بالخبيب . ليكس . انشمت بدت :

— يبدو أنها آخر مرة .

كدت أجزع بعد أن عدت الى الشقة . تذكرت الحمساته وحببة الجاهزة . لابد أن زتهم وجد طريقة لبيعها ، لو لم يتسلمها أصلا من احد مطير اعلق ما . في النهاية صبحت .

\*\*\*

مضى شهر على اليوم الذى وزت فيه فبر أمى وأنى كنت تركب العنق في الحادية عشرة صباحا وذهبت الى بنك مصر لأصع لمائتى جنيه الأخيرة في حاد . مشيت قبلا في شارع صلاح سالم ، وفي المنسنة وحملت نفسى أركب الترام رقم خمسة . ما لئدى دعصى لحدث ؟ قلت أمى وأنى ولا أحد غيرهما فكزت من قبل في زيارتهما ولم أحصل . لابد أن يعسى قوية . الساعة الوحده ظهرا والصيف لم يحل بعد . لا أن الترام مردحه . اخترت لتعصى موقعا جوار الكمسارى الخلال حوير الباب



لخفى . أَسَدَت ظهري على جانب القرام . لَدَيَّ ما يعلو بلهني  
 وإحساسى عن الزحام لا أريد أن أشكو لوالدى شيئا . لا أريد الاحتفال  
 عن شيء . أريد أن أراها ولو فى حلم . ليس لى صورة فوتوغرافية لأى  
 منهما . وأكاد أسى ملائمتها . لكن شعاعا سقط فوق وجهى وتركز عليه  
 من بين الزحام . وجه ساطع الإشعاع يطل على . ارتبكت . غير مهيا أنا  
 لأى معامرة الآن . ركبت نظرى على قدمي . إحساسى بالشعاع الرقيق  
 مصوبا الى وجهى قائم . نظرت غير قادر على الغروب . وجه المرأة يزداد  
 ألغا ودهشة معا ، ويتحلى وراء رجل طويل . انتهى الموقف . لكنى أعود  
 لألمس فرجة تسببها أى حركة للرجل الطويل لأرى وجه المرأة من جديد .  
 م أدرك أن حركة عيني تسبب حرجا للرجل إلا حين اصطدمت بعينه  
 فرائته مرتبكا ومرباها . أخفضت بصرى وسكنت .

من باب المقابر تسلمنى الأطفال الخفاة فذروا الجباب يطولون  
 « الرحمة » ، والشيوخ انحاف الذين يقفرون كآبى مصادة ويهولون فى  
 قروة القرآن لئلا لا يمحضوه . كدت أعود . فى حاجة أنا الى وقت  
 أبكى به . أحس بذلك ولا أعرف السبب . فى حاجة الى دموع تمسك  
 بلسى . تشرح صدرى وتلى المنهمج بما أدركه . هل جئت كما غنى أبى  
 من الله فعلا ؟ . على القبر وقعت وحيدا بعد أن أشحت بدراعى فى ردى  
 لمن اقترب منى من الشيوخ والأصغالى . وجدت عسى أذكر المرأة التى  
 ابشمت لى فى القرام . إنها كثير . كثير اعنت هذنى وأحى فى الرمز  
 الحميم .

مضى شهر الآن على ذلك اليوم ولا أصدق أن الطريق الذى يسلكه  
 سائق التاكسى سهيل بنا . عشى بين أزقة ارتفعت فيها عمارات  
 فأظلمتها . شوارع امتلأت بالفوضى والمقامى فاصجرتها . وأمام منطقة  
 متلاشب بالحمام القديمة القائمة قال « وصلنا » .

كان على حن . ها هى المشتكى عارية أشجارها ومقطوعة اتسعت

بينها المسافات . موافعا يطل من كل مها أكثر من شخص . وساكى  
 القوية المتساندة فى تجاورها تبدو فرجة من جهامه ما يحبطها . قصيرة  
 حيث ارتفعت الأرض حولها . حال لونها وكساها العيش .

— كما ترى لا استطع أن أتقدم أكثر

— ما هذا ؟

— حصرتك كنت بالخارج ؟ هذه مساكن الإيوء

غاصرت التاكسى فقابلنى هاموش حاصرى ودياب وروايح عنب ركدة  
 نقيفة تزكم الفضاء هل أعود ؟ لماذا أتيت لأن ؟ تقدمت ..

أطفال عراة وساء كالحفات يقفون أمام الخيام واكشك الصفيح  
 رجال مشغولون بأحشاش والواح معدنية صدئة ومتجهمون . برار . برار  
 براز فى كل خطوة فوق الأرض . أصوات راديوهات وتليفزيونات وشبكة  
 من الأسلاك تصكب النعناء . بين آخر الخيام وهب العمارة متر واحد  
 موار للمساكن امتلأ بالوحل والبط والدجاج اللامى والقطط الصغيرة  
 لينة . أين ذهب الله الآن وكيف يتحرك ؟ أهذا جنة يوما فكيف نحل  
 عنا فى هذا الوقت القصير ؟ أين أحق أنا ؟ طال الزمن وقدمت مشرلا ولا  
 أدرى . أنظر فى المرأة كل صباح أشعث شعري فساد م أدرك ذلك ؟ .  
 أكان لابد يا كثير أن تنظر لى ؟ . لابد أنى لى أحد أحدا . ولابد أنك  
 مريجت . مثلك لا تنتظر كثيرا . جمالت البهر وعطرك اطائر يترك  
 القلوب البعيدة . لقد رأيت وجهك أكثر استدارة وشحما . وجه امرأة  
 ناضجة مربية . لى أحداك وإن أجد هانى الذى لابد يعيش مع زوجته لى  
 القاهرة . أم بقللى فى محطة الرمل يوما وقال أنه سيمثل مخضيت التى لى  
 القاهرة ؟ وما هو السامع مظلم لأمه عمدة رجل منتفخ بالنور واضعا  
 عكازا على الأرض حوّل ماله للقطوعة ولا يشعر بدخولى . حوله دحرج  
 يبط صغير وأنا أخطو على أطراف أصابعى التواء الى نظر على امور  
 لأوسع مقلقة كسا رجاجها تراب وعكبوب ولا يصير من نور . ها أبدا

- من حصرتك ؟  
تكنم بطلاقة وثقة وأنا ابتسم ولا أتكلم . دخلت جارية ومعهما :  
— راحل طويل قوى ياماما ما يتكلمش خالص .  
لا نسمع وقع أقدام . رأيت كثير أمانى حافية شعره الأصغر محمول  
بشروط بحرية خفيف ظهرها . لكنى لا أشم عطرها الصائر .  
شجرة ! سمعة . أستاذ شجرة . تعمل .

أصعد في الظلام ولا يقابلني شاب كان طفلا فأعره ، رجلا كان شابا  
فيرمى ، عجبوا يسألني عن أمي وأبي . أعرف أن قانونا صدر بعد رحيلنا  
بأيام يعطي الشفق لمساكنها ملكا مؤبدا ، وما كان هذا القانون هو الذي  
عطل موت أبي لم جسد أمانه سوء الحظ كاسرا . وما لم يكنه أبي الحل  
ولا زاد أن يحدني . رغم هذا القانون لا يبدو أن أحدا يصعد للعيش في  
مكن نخل عنه الله . لكنى أصعد . لن أخطئ . شفتكم بما كثر . كانت  
أوسع من شفتي . كان أبوك موظفا بالإتينية فكانت شفتكم ثلاث  
غرف . هذا أذا أوى الباب هل تقبلني أحلام ؟ لستك الصغيرة التي  
تذكرتها يوم بنسبت لي في الترام ، والتي كانت ماحجة في « القبول » يوم  
رحلت . والتي لا بد أنها عروس ناضجة الآن ، ومن أجلها جئت أنا  
كانت أحلام تشر نفس عطرك وكنت أنا أكبر منك حجابوسي أنت في  
النضج وتفضل أحلام بالنسبة في طفلة . لعلها إذا رأني تذكرت كيف  
كنت أطيب خاطرها حين يضايقها هاني الصاحبك الأبدى ، ثم يأمرها  
بأن يجهر بها شها باستنوع فتخرج غاضبة ، وقد خسر أنت بالشيء ماسة  
متوردة لخدس ، ونضعين أمامنا اللب والقول السوداء ، وتقولين أن فيلم  
الهيئة بالتليفزيون الذي اشتراه أبوك حديثا جميل ، وأنت استرحت من  
عذاب المذاكرة بعد أن توقفت في الإعدادية عن التعليم ، أو أن الإرسال  
طوب النهار مشغول بجمال عبد الناصر وهو عمال يستقبل الملوك والأمراء  
« عرب مثل عارفة به » تذكرني أبي قنت مرة « ميتر فنة » هيررت  
كنمت وقت « فنة به » وضحكنا أنا وهاني وكان كعادته « عائلة خوية  
كنها » . هذا هو الباب يفتح ولا أرى أمانى أحلام . من هذه الطفلة  
الصغيرة سمراء الوجه التي تقف أمام قلبي ؟

— من يا نور ؟

صوتها يأتي من الداخل لعله صوت كوتر هو عنه . لا أخطئ  
البحر فيه يوم مر من القسي لكف . اسمها نور هذه الطفلة السمراء التي  
ترفع رجليها إلي . يا للمسافة التي بين عيني وعينيها .

## منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

٥ يوم الأضياء من كل أسبوع يشهد كوبرى التاريخ زحاما هريا .  
رجال وشباب وحصة حفاة مهترلو الثياب يوافدون لرائدى هذه  
الصباح الباكر ويحاصون بلا ضجة باعداد الكوبرى يولون وجوههم  
ناحية البناء ويحدد صوتهم ضاحكة فى الفراغ إلى الأمام . تلفف الهرام  
فى محيطها خلفهم ولا أحد يترك مكانه إلا فى المساء . اكتشف  
الناس حائرا جدا أن بالبناء لونا يجمع الشرطة يسمى « لون  
الإعدام » يتم فيه حرق المندوبات المضبوطة من المخدرات والسواحل  
ول الأكرار . يوم الأضياء هو اليوم المحدد للحرق . والسيم القادم  
من البحر يجب على الكوبرى ماراً بالفرن ويصل للواقفين طبا يخرجوا  
بدخان الخليلش المروق حاملا الراحة واغناء بالهجان . الآن تملأ  
قوف الكوبرى الهرام وسائر المركبات ٥

## « ٨ »

جلست فى مكتبي أفكر أن النساء أطول عمرا من الرجال لأن الله ارد  
أن يطول تلميذين فى هذه الدنيا . لماذا يكون الله غاسيا مع أحمل محبقاته  
وأصعبهم ؟ فكرت أن عقل يتشقق وتخت

رأيتي أم كوتور هبكت . ورجعها عبد المال أفندي ماب كملنا على هاني الذي تركته الحرب حميها مرقا وجما على جمال سيناء . كان عبد المال احدى رجلا ميرا في الحى . وميما تورث وسامته لفساته ، مهندما نظيف ملايس يحرص دائما على ابداء الفيدنة والكراخة في الشتاء والصيف ، هادئا ميبس الكلام . كثيرا ما دخل علينا الخجوة في الليل وأنا أذاكر مع هاني وفتح حرفة كتب صغيره نصح وأحرج كتابا صغيرا وخرج ، وكان هاني يحدثنى عن معرفة أبيه الواسعة بالشعر والشعره . نور الصغيرة بنته كوتور سمراء لآل أبها الذي تركها وطعنين آخرين وسافر الى « دني » أسمر . أمي تقع دني هذه على خريطة العالم وكيف أدركتها الآن ؟ أحلام تزوجت مند شهر واحد رواج صامتا وسافرت مع زوجها الى دني أيضا . ربما تزوجت أحلام في اليوم الذي رأيت فيه كوتور في الترام .

لماذا لم أتوقع هذا كله ؟ . لماذا سميت أن حيا كبرى قامت في أكتوبر عام ١٩٧٣ ولابد أنها تركت خلفها شهادته \* . هل لأن عبد السلام الذي حوضر مع الجيش الثالث عاد ؟ .

وهي كان عبد السلام جيشنا كله ؟ .

وباذم أدرك أن أحلام وهي تذكر تنصح وتصبح عا دياها السحرية والمريه أيضا ؟ . انسى ، وم أشعر بأى غرابه ، ما كدت أدخل النشقة حتى اجتاحتني برودة ، وأحسست أني لا أعرف أحد . شيء سقط منك ووجدته بعد فواته آوار حدثت لي هل يعنى شيئا \* ولابد أن كوتور أحست بدسك أيضا . حبست وبتست وقامت لتعود ومعها أمها فستته على ذراعها ، وحسنت يدي أو فوقها ، كأن السقف سقط عبي . لم تقل الأم غير « نيك ياسى » وشرعت في البكاء الصامت فأهضتها كوتور وخرجت بها وعادنا لتجسس ميتسة تقول أنها لا تكف عن البكاء . ليست رؤيتي دون سبب بكائها كما مصورت ، ولا أنها حيا رأيتي تذكرت صغوبة بها وصبا . م شأ أن تحدث مع كوتور عن شيء ، ولم تسألني

هى عن أهل ، ولا أظن أنها تسألت عن حبيب ذيارى العريه طال الصمت بيتنا فبكأت بالأسئلة التي وقعت فوق رأسى بعدها الاجابات . هل كانت كوتور تتصور أني أعرف كل ما لحق بهم ؟ . لم أسألها عن راشد . إذا كان الضاحك الأبدى مات ، فلا بد أن عاشق أعانى عبد الحليم يمضى بقية عمره الآن يتوجع في « الوفاء والامل » . مهرة باردة لم مأساة صقيمة هذه الحياة . لم يجرى أن كوتور اجتمعت لي في الترام . الأمر لا يزيد عن أنها تذكرت أن هذا للطويل الواقف شارد الذهن جوار الكسارى كان جارا لما ذات يوم ، وربما تذكرت أنه قبلها مرة ، فذكرت زوجها وانتعشت ، وفي أحسن الاحوال كانت في حاجة فقط الى أن أبادها الإلتصام



أصابتى سورة جس مؤثورة فأخذت أدور على المكاتب ألتصص على سيمان النساء . أجلس مع من أعرفهم أحتق الأحاديث التافهة من المسلات ، وأطل على صبورهم من خيف التهاب اتشم عطرهم الرخيص العافع ، وأنصويهم في لوضاع الجماع مع أزواجهن الذين أهزلهم من موظفى الشركة ، أو لا أعرفهم من خارجها . وفي البيت أقمت لنفسى « سراية » من الحلويات الخسبة المتخيلة ، وقدمت لي إتقانها حتى صرت أعرف فوق دون أن تلمس يدي حيوان ..

جاءني المذكور في فراقه فن دغى طالت وشعري تلبس من قلعة لمسيل .  
— يجب أن تترجع واشجرة

ايست ساجدا

— لديك شمة فمنا فتتظر . أنتك أفضل مى حالا ؟  
لم أود .

— غلوس ؟ قادمة في الطريق . جهر نفسك . وهل يجيب الى الاسكندرية كما تعرف وسيقتل بعد غد من مقر رأس النين الى المعصرة

حيث استرحه الرئيس . الشركة مشرك في فتحية على طريق جمال عبد  
النصر .

طر . كذب فصرخ في الذكورى . انهض فاحله الفى به من المائدة  
في الطريق اسحق حلسا يعرف على كل شيء ولا يحتاج . لا يطلب  
شيء لنفسه . أى نوع من البشر هو ؟ . ليس قديما ولا ملاكا ولا  
شيطا . لا يستحق الشكر ولا القصة . ومن أنا بالضبط ؟ . لا أعرف  
أصلا أن ييجي واصل الاسكندرية . لم أجد أشتري صحفا ، وأعلق  
التعليقون كتب وجدت شرة أو برنما اخباريا أنى أتت عن النساء ،  
عصر النساء ، عرق النساء ، سيقان النساء ، شفاء النساء ، وصلوهن ،  
وأفكر في شراء تيميزيون ملون حتى أرى لحمهن ساجا . وييجي هذا هو  
الدى طرد الله من أرضه حول مسكن البلدية بكم المشقة وهو الذى  
ملأ الأرض بجهنم الإيوة . أنا نيت حمرا كما تتعللون . اننى أنهم وأنهم  
وأنهم وأعمدنى أمر بسيط جدا أن أجد امرأة أتزوجها فتزاد عزلى وأعيش  
ها ولأناها . ويرداد غاى . هذا الأمل الذى لا أحصل عليه وديما أنساء

أنا شجرة محمد على الطوبى الأمر صاحب الوجه الخاطف دى العيين  
العسيتين ، القوى لسان كحافظ ، تتجلف الرجولة في عروقى تكاد تنشق  
عها أجند ولجمل دمي نار وتنسكب ممي بالأشارة . اننى شقة ، وأكثر  
من محسماتة جبه لى انبك ، ولا أم ولا أب ولا أخوة ولا أعرف لى  
أقارب ، أنا شجرة محمد على ، لا أجد امرأة ألا توجد فتاة واحدة  
شجاعة تتقدم لى فتنبى صبرى وقد نسيانى ؟ . ألا توجد زميلة تقدم لى  
أختها أو صديقتها زوجة . يا بال النساء صحنين عن دورهن التلويح في  
صطياد الرجال ؟ . ويريدون أن أستعمل ييجين . انقوه ! سأستقبل ييجين  
وأم ييجين .. سأجعل العمال يحبونه . لن أسرقهم هذه المرة . سأجلس في  
منهى المحبة ، في الظل ، وسأتركهم في الشارع الواسع ، في الشمس ،  
باصط في ميدان المحطة ، حيث تتعد العمارات وتصبح المنطقة بؤرة  
للصوء بسقط عونها الأشعة في الظهيرة حزمة واحدة عريضة لعينة

كالهجوم ، ولن أتخل عن المهمة القوية

— أخذت اللبسانس .

دق الجرس وفتح الباب فوجدته يقول ذلك فأتا لى ذراعيه . هذه  
أول مرة يزورنى أحد من أصدقائى في البيت بعد وفاة أمى . لم أعرف من  
أحسنت لذلك أم لنجاحه . تأملته والسعادة تمنع عيني ، وهو ، حسبي  
كعادته يرداد وجهه احمررا .

— فرحان بك ونفسى . بنجاحك وبأزنتك .

قلت وهو يقف وسط الصالة الخالية فأخذته الى الشرفة حيث كنت  
وضعت مقعدا قديما ، وتركته وعدت بالمعد لثاني

— حقا لقد قصرنا في حقك .

قال بيرة أسف حقيقى . قلت :

— لا تشغل بالك . ميروك اللبسانس

كان تأمل ذقنى الكثيفة والنصب الذى لابد رسمه بخطوطها حول  
عيني ، والانتعاج الذى لابد يمرر تحت جفنيه السمين من أن السهر  
وكثرة التدخين .

— سأحلق ذقنى الآن اكربا لك

وفعلتها وعدت من الحمام فوجدته ينسجم بحمر الوجه . لابد كان  
يتعجب من سلوكى قال :

— عيني وينك لا قيمة له

— من هو ؟

— اللبسانس .

ضحكنا .

— صبرى ستة وثلاثين سنة . مرتبى أكبر من مرتب أى خريج جامعة

حيث . ونسب . لكن أي تثبت من الخوارج والفرقة من  
الفرج

ر صفاء صحتك . ما متشبا من اتساع فبحر أمانه ورفض أن يشرب  
أي شيء . عذب أن خرج إلى لقهى  
— جعلت أكثر من مره فلم أجد أحدا يلتقى ؟  
— ما دم تر على واحد في الصبدية أو قافى هنا ؟  
سكنت ريدا متجيرا في إجازة . نال وهو يتسم وعمر وجهه .  
— لا أعرف .

انقسمت وشجيت بتسامته . نهضا بصرف قلت .  
— لم نعد مضطربين على الساعة المسيرة .

لكننا ما كدنا نجلس يلتقى حتى رأينا ماجد قادما من بعيد فقال  
حسبون متلهلا كقولهم :

— ها نحن نعود إلى مواعيدنا المضبوطة بلا اتفاق .

بدأ حسنين مثاقفا بحق . ليس حسنين كما قال عنه عبد السلام .  
حسнин قانع راض بحب حادة الرضى ويعد عن نفسه وجع الدماغ !  
أكثر من الناس يهبون السير في الطرق الممهدة حتى لو كانت لا تنهى .  
لهم أن تكون ممهدة وليس مهمما بلوع بهاها . وربما الأمر كما قال عبد  
السلام . لوعد من ثلاثين غير شعبة الطموح ، يستسلم الإنسان إلى  
الوضع الذي انتهى إليه ، ولا يستطيع الخروج عن ذلك إلا بالجرى .

— حصل . وسين عن اليساس

عبد ماجد بعد أن حصر كلا ما نرج . عطف غيل أن يجلس .  
— د . متبدا الآن التاريخ الحقيقي مبروك .

ثم دفعه يصحك ويقول .

— لا يسألنى أى مكلم عن القدرة وكلية العلوم .

نظرت إلى حسنين فوجدته يظر إلى . ذكرنا ماجد بشيء كنا  
سيناه ، لكننا حضنا في صوت واحد :

— وحدها ؟

— طبعاً .

— يولد .. لابد أنها لم تصدق ما ضمت

كنا نتكلم أنا وحسنى كشخص واحد وماجد يرد علينا .

— وحتى الآن لا تصدق . طاوله يا محسن .

عطف ينادى الجرسون .

— انتظر . احكى لنا أولاً كيف وجدتني ، وإلى أين وصلت معها .

عطف ماجد نظارته ومسح زجاجها وقال وهو لا يرفع صوته إلينا .

— كان ذلك جنونا . لم أجدنا ولم أصل إلى أى شيء عنها . أدرس  
الآن اللغة الألمانية في معهد جونة . سأسافر إلى ألمانيا .



أخبرنا ماجد أنه اشترى سيارة فبات نصف عمر وسأجلنا في جولة  
ليلية بالاسكندرية ، خاصة وأن الدكتور موسى الصبدل الذى يعمل عنده  
هدأت نفسه بعد أن ضمن عملا في الكويت وسيسافر إليه بعد شهر  
وسار يعمل بمجدة وعامل الزبائن نرج . وجدت نفسي أحكى لما ما  
حدثت بالعمارة مؤخرًا . فمتذ أسبوعين صحت صجة على السلم . ففى  
قلبي . قلت ربما جاء المسكان . من صيف العام السادس والسيحى إلى  
صيف العام التاسع والسيحى هذا لم أو ساكنا واحداً ، ولا أعرف ماذا  
يفعلون بالخارج كل هذا الوقت . ثلاث سنوات أعلق باب العمارة في  
النساء بالقفل والجنيير . وكما توقعت ، صحت مرأت عملا يحملون أثاثا  
جديدا . وقت قليلا أسمع الخطوات الصاعدة والصحكات المنطلقة  
حتى رأيهم ألقى . شاب وثقة وامرأة تبدو أمها خلفها الحقيقة  
نجلت . كنت جريفا أكثر مما ينبغي ، وتضايقت من دفى ، لكن هذا

ما حدث . لم أدخل الشقة بفيت وإنما عند الباب

— أنت نسكى هنا ؟

تساءل الشاب الذي رأته كيف شعر الرأس جدا .

— أجل

— أنت الأستاذ شجرة إود ؟

قال الأستاذ باحة ونفى ترفع عنها إلى . ادركت أن عبده الفاكهاني هو الذي أعجزهم باسمي ، ولأنه أعطاهم مفتاحا لباب السمارة ، وفطنت إلى أنه هو الذي أعطى رجال المباحث مفتاحا ليلة القبض علي . ربما لذلك بدا عاتقا مني بعد إطلاق سراحى ، وربما أيضا لأنه تصورت شيئا خطيرا ، لكن هذا حادث قديم ولا يجب أن يعود إلى ذاكرى ، ثم أنهم لم يكونوا ليحجزوا دون مفتاح الفاكهاني . قلت :

— أجل .

— لا أحد معك يا أبى ؟

تساءلت لأنه فاجئت :

— أجل .

— إذن ستؤانسا .

قالوا معا وضحكوا فالتفت نكر ورفع النمر إلى وجهى وأحسست من الفور أنهم قطع من اصبح لا أعرف ماذا حدث لمرافقى بالصبط .. امضيت اليوم أكاد أرقص في الشقة . مهما كان أمرهم فهم بشر سيجعلون هذه العمارة المصممة منى . ثم أنسى رأيت الفتاة يشحب وجهها بعد أن ضحكوا . كان اليوم جمعة وكنت أمضى نغنى للحروج للصيد . لقد انتشرت عدة لصيد السمك لم أستخدمها حتى الآن حتى ولا ذلك اليوم ، ما عليل . ما استخدمتها يوما . جلست في الحديقة وارتديت المايوه لكى لم أنزل . صرت أخرج إلى الشقة كثيرا وأدخل فأتبع حركة ترتيب الأثاث فوق فأعود أخرج إلى الشقة وأرفع عيني إلى أصل

فأجدهم . أو أحدا منهم يظل من النافذة أو الشقة التى فوق . أعجل وأكاد أحصى إلا أن كل من اصطدمت عسى بوجهه يحسنى يده . حكوت أن دخلت في طور الحود ، وفكرت أنهم مثلى . كان عليهم على الأقل أن يستكروا عربى خاصة وأن شرفهم تنحصر نصف مر عن شرفى . يحلمهم يرون جسمى كاملا . فكرت أنهم ربما كانوا سعداء جدا ، ووجدت نفسى أتساءل عن سر سعادتي . لا يمكن أن يكون متلاء شقة واحدة بسكان ميا تشونى المفاجئ . في الأمر حكمة من نوع ما أحسست بصيق . في المساء ذهبت إلى ماجد فلم أجده في الصيدية اشتريت دهانا من الدكتور موسى لتخفيف آلام الروماتيزم الذى بدأت أشعر به . أنام عاريا والشقة خالية . الأثاث يتنفس ويساعد على التدفئ سمعت أبى يقول ذلك مرة . لكن المرأة تساعد أكثر . بها تنفث التدفئ كفاطرة . أعرف ذلك ولم أجربه . فكرت أبى سأعيش وحيدا حتى الموت ، وفكرت أذهب إلى عبده الفاكهاني . يوحى . أحمل يبعث امرأة ويشتري

ضحكوا كثيرا من حكايتى التى اغفل . بها الكثير من الأحاسيس التى كتبها الآن إلا أن العبارة الأخيرة أملت . مى . قال ماجد أن عبده الفاكهاني لا يهتم بهذه الأشياء الصغيرة إنه يضارب في أرضى المعجمى . واشترى مؤخرًا خمسة نفلة في شاحنة : أبو يوسف وخمسة في شاحنة : أبو غلات . عرف ماجد ذلك من زبائن الصيدية من البذر الذين صاروا يركبون الدراجات ويذهبون في الليلاب بعد أن قسموا أراضيهم المزروعة بالحب لواتى وزيد موضع اليد عن أحدهم وباعوها للشركات السياحية ولقد تدير من الخارج ولقد . والذين يعجبون منه كيف لا يبيع في صيدية النقويات الحسية ولا يعرف كيف يحضرها .

— سيأتى يوم لا تذوق فيه طعم التبن . كارتة .

قال حسنين يلهو ففجر ضحكنا ثم سألنى .

— هل تفكر حقا في الزواج؟

— طبعاً

— انذ اكمل لنا الحكاية وسزوجك .

عندما بصحبت من جديد لم أنضاق . أحسنت بزيارة الموضع كده قلت أنسى أول أمس لم يأتني النوم . انتهى الإرسال التليفزيوني وأنا أفكر في الرقصة العربية التي عرضها برنامج « اخترنا لك » حيث انتهت بأيدي الراقصين من الرجال توسط بالصمصام مؤثرات الرقصات في لحظة قريبة كادت تفر من الشاشة إلى وجهي . كل كف مفتوحة فوق مركز المؤخرة . أي جرأة أصابت التليفزيون هذه الأيام ؟ إلا أن ذلك لم يكن كل شيء . قبل الفجر بقليل سمعت صوت ارتطام شديد في مياه البحر . ارتطام متكرر . فكرت أن سمعية سمعت إلى البحر . أدركت استحالة ذلك لأنها لا بد تشحط في الرمال قبل الشاطئ ، بكثير خضت النافذة فقابلني هواء كصفعة بعرض الدنيا . هواء ثقيل لكنه منمض . رأيت الموج يتقلب يحمل أشياء محترقة . أشعلت نور الشرفة ووقفت فيها . رأيت مقاعد طائرة عابطة من أعلى والواجه خشب ومراتب وثيابا وحبال كبيرة وكل قطعة تتوهج لحظة في الضوء المنبعث من الشرفة ثم تخفي في الظلمة أسفل وأسمع صوت ارتطامها بالموج . هذا هو الأثاث الذي رأيت العمال يصعدون به منذ أسبوعين . كان من الطبيعي ألا أتردد . أي أصعد . لم أشعر بالحرق ولم تظلم دهشتي . لا بفعل ذلك إلا غريب . توقعت معركة فأخذت سكيناً . صعدت فوجدت باب الشقة مفتوحاً فدخلت على أطراف أصابعي ووجدت الشاب معه الذي قابله مع القفا وأماها بواجهن عارياً إلا من مابه وشعره الكثيف مكوش يقف كشعر القنطرة .

— أي خسة ؟

سألني بحافظ العينين يظل منهما للشر .

— صف .

أجبت واستحييت .

— ما رأيكما أن نسهر الليلة في القلبي . احاج لقمان يقيم مرادفا

انتخابيا كيرا يستحق الفرجة .

كانت الساعة قد دخلت في العاشرة ، ولم يكن يعي من حكايتي إلا صدى بلغت يصل صديقي يقطعان اللعب أحيانا ليتسما دون تعليق . استفدنا التعليقات التي دارت كلها حول فكرة واحدة تقريبا ، تصرفات الناس العربية هذه الأيام . لكننا ضحكنا كثيرا حين قال حسن لي « طالما قرر أن يتخلص من الأثاث كان أعصاه لك أو سألك هل تعرف أحدا يحتاج إلى أثاث ؟ »

ولم يحذ ماجد الذي وعدنا بسهرة في لندينة أن نسهر في القلبي . أشار إلى حركة السيارات الملاكى القادمة من المعجمي وقاله نسهر في بحري مثل أصحاب السيارات . وكنت أنا كعادتي غير مهم بالانتخابات . أعرف أن السادات حل مجلس الشعب ، وأن هناك انتخابات جديدة ، وأن هناك معارضة قوية لاتفاق كامب ديفيد وأن الصحف تشن على المعارضين حملة شرسة ، إلا أني لم أصبغ نفسي متبهما بقراءة الناصيل ، كذلك لم أحض مع أحد في الحديث مما يجري في البلد . أرى لاتخاذ كثيرة مرق الهلات وفي أهل الشوارع في طريقي إلى العمل لم ألتفت تهيد كلها احاج لقمان ولا أهم . لا أذكر أني أدليت بصوتي في أي انتخاب أو مستفتاء ، وأنا في الأصل لا أحل بطاقة انتخابية ، وإن كانت البطاقة الانتخابية لأني لم ترل يون بعض ما احتضنت به من أوراق بعد موته . ثم أنني أقلت تماما عن جرائمى . فالسادات لا يزال يأتي الإسكندرية في السادس والعشرين من يوليو بالبلوكتر ، ورواره من رؤساء الدول لا يأتون إلا في الشتاء حيث يتقل إلى أسوان معظم الوقت حتى فكرت أنهم لا يأتون لزيارته بقدر ما يأتون لتستمتع بشمس أسوان وغتنام الفرصة للعلاج من أمراض الروماتيزم ، بل وربما كانت هذه هي كل لسانه كما أن الشركة لا تزال تساهم في



احتفالات عيد العمال بوعد محدود من أعضاء النقابة ، يوم زيارة يمين  
للاسكندرية نددت المهمة كاملة ولم أستقطع ملياً من العمال .

— من هو الحاج لقمان ؟

وحدثت بنفسى أسأل دون قصد . قال ماجد :

— لا أحد في الاسكندرية لا يعرفه . أنا شخصياً تشرفت بمعرفته .  
وقعت سيارة مرسيديس سوداء أمام الصيدلية ونزل منها السائق ليشتري  
خمسة علب جبيرين . رأيت الحاج لقمان بالمقعد الخلفي وحياتي بيده .  
عرفته من صوره التي تملأ الطرقات ببلدته النجدة ، ورأيتة ينزل من  
السيارة . تصورت أنه سيدخل الصيدلية يحدثني عن الانتخابات لكنه  
دحرج الرقائق الجانبية وعاد يزرر بتطلوه من الأمام قبل أن يركب السيارة مرة  
أخرى .

ضحكنا . كانت دهشة حسنين كبيرة من شراء خمس علب  
جبيرين . تخيلت الرجل مرصها إلا أني عرفت أن اخي يري منشط عام له  
تأثير فعال على المجلس . وقال حسنين مخاطباً ماجد :

— أنت رأيتة مرة واحدة . أنا رأيتة عشرات المرات من قبل . كان  
يبيع مسروقات مخلفة من الجمر كمثل اللؤلؤات والجوهرات والثرزومستور  
بمقهي « النش » بالمفروزة ثم اختفى منذ ثلاث سنوات تقريباً نعود حاملين  
لقب حاج وعرفنا كأكبر مستورد لحديد التسليح في مصر كلها . إنه  
شئ يستحق العرجة خاصة أنه يخطب في الناس وأنا أعرف أنه لا يعرف  
القراءة ولا الكتابة . هيا نذهب ولن نخسر شيئاً . اذا لم يعجبنا الحال  
نطلق الى بحري

\*\*\*

ركبا سيارة ماجد طرول الطريق لمكر في الجنود الذي أصابنا ضجاء .  
لسانه لا تملح نوعاً من الغزل ، ولا تختلف كثيراً عن لعبنا الطاولة ،

وكدت أطلب من ماجد أن يستمر في طريقه الى بحري لكني رأيت  
الاصواء الصفراء والبيضاء تحيل الليل في شارع سيدي القباري في ظهر ،  
وسرديفاً يمتد بطول نصف الشارع ، ورحاباً هائلاً من البشر فأردت فعلاً  
أن أرى الحاج لقمان هذا الذي يجتمع له هذا الخشخشة .

بصوتية وجد ماجد مكاناً لسيارته في أحد الأزقة . صرنا بشق طريقنا  
بالأكتاف والأيدي حتى وصلنا الى باب السرداق . الصديقة ، الصديقة  
وحدها ، جعلتني اتقدمهما ونحس مدخل

— وصل رجال الدخيلة . وصل رجال الدخيلة .

كان الحائف يرفع ذراعيه عاليها بشير بإحدهما اليها وبالأخرى الى المنصة  
التي يتوسطها الحاج لقمان وعلى جانبيه عند كبير من الرجال ذوي  
الشلوب اللامعة والجلابيب الفاخرة السابعة . الحاج لقمان يرتدي بدلة  
سوداء مثل وجهه تنسع مثل وجهه أيضاً الذي بدا مدهوناً بزيوت . والذي  
عقب بصفتنا برجال الدخيلة هو الذكوروي نقيب العمال في شركتنا .  
إشرأبت أعناق الحائسين فوق المنصة تطل علينا ، وحياتنا الحاج لقمان مرة  
عنيفة من رأسه الصخر ، ولنا أفكر في الذكوروي ، والذي أوجده .  
هنا ، وصلته بالحاج لقمان

جعل الذكوروي يوسع لنا طريقاً الى الصف الأول . تبستنا حالة الدولار  
اللافتي برجال الدخيلة كما قال سمعت ماجد يقول أن لن نخرج من هذا  
الفتح . ما كدنا نحلم حتى أخذني الذكوروي من ذراعي ممشيت حفاة .  
سحني وانصمت له فيما أمامي طملاً يسحب رجلاً أعشى . حلف  
المصبة قال .

— انتظر هنا لا تتحرك

وقفت غير مبال على الأرض المفروشة بالرمل . حاولت قراءة الكلمات  
للتقوشة على قمائش السرداق في تكوير وخرق متداخل وصعب عدد  
الذكوروي في يده مطروفت صغير متنفخ

الوحيد في الشارع ، والموجود أمام بيت عبد السلام ، مواسير الصرف على حصار بيت الياهمين الذي سقط ملاحظه في أكثر من موضع ، وشمت لنياء فيه وتكلفت فوقه الرطوبة ، ورأيت ابن عرس فوق ماسورة بحري صاعداً ..

— الحاج يرسل إليك هذه المبلغ وعليتك أصوات الدخيلة أعرف أنك قادر على ذلك .

هل أقول أن أصبحت آلة تتحدث يدى حيث توجد نفود ؟ . أثبت عكس ذلك يوم يبعين . أخذت الظروف وكذبت أصحتك من المذكورى الذى يعرف على ما لا أعرفه عن نفسي . قال — محسماته جيبه كاملة وضعت صامتا .

— سينجح وستسقط كل المعارضة . املتم

كنت أفكر هل نقتسمها مع حسين واحد . هل أعبرها ؟ لكنى قلت بمرأة :

— هذا مبلغ صغير بالنسبة لحي كالدخيلة ولأول مرة أكتشف أن للمذكورى نظرة تعجب — إدد صيدها

قال عارثيكت رغم أن لو مضخته لطار في الفضاء . قلت : — قل لساح مبروك . أصوات الدخيلة في جيبه .

أعرجت النفود من الظروف وحشرتها في جيب بطونى . ماكدت أتبعده عنه لأعود إلى السراذق حتى أوقضى ومسى في اذنى . — اسحاح سيعطينى شفه .

## هتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

أستدنى قدمائى الليلة إلى الشارع الذى هجرته . رأيت بيت الياهمين مظلماً تماماً . لم تعد هناك رائحة يتقدم نحوها أنعى أو تملنى . دببت البرهور ووراق الشجر صارت متية فقط محضها على الأرض جوار السور وجف واشترى في عرص الطريق وحسته بقدمى سمعتة يكسر تحتها كأنه قشر الغول ... على السواة رأيت قفلا كبيراً ، وأضاء في عمود الدور

تزوج شاب وفاء جاء أهل العروس في الصباح فزوجه فلم  
يفتح فما أباب أحد فكسره ليجلوا الشاب فوق عروسه لا  
يستطيع إلا أن يرواه منها ويكبان لمكذبتهما طوب اللهين يحاول  
كل منهما التخلص من الآخر فلما في ملأه وحاولما يهردا من  
المستطفي منفصلين بدخلوا شفتيهما في منتصف الليل بعد يومين  
تكرر الحادث فصرخ الشاب مستجدا باجيران الذين دخلوا  
مفزعين لهردا منفصلين بعد منتصف الليل عند الناس يطوف  
تحت الشجرة العائنة يشيرون إليها ويتعجبون ويضحكون مر شهر  
دون أن يحدث شيء ولم يعرف أحد أن العروسين فقد القدره على  
الانصاف لكنهما هلالا ومزق كلالهما وجهه بأظفاره لده ورجع  
واصطغر الشاب للصرخ مستجدا باجيران من جديد فحملوا في  
المستطفي ليمردا منفصلين عند الفجر في الصباح وقف الشاب  
وحده في البقعة يصرخ ويلطم خديه وينظر من لدور الحاسن  
في الأرض يكاد يهتز ألقت عروسه بنفسها ورأى حسدها وهو  
يلطم بالأرض ويصر مرة واحدة كأنها اختفت ٩

صحب باب فتشقه ووجلتها فاحتراق النور الذي عند أمامي متسع  
هائل فاحأني إحساس السايح في العشاء اللاتين المدي مصب  
عسى لأرى البحر ساطعا من تحمل اللازوردى أحسست بتعومت رؤا أنف

حاليا فوق السلاط . رجعت عيني فوجدت قبة السماو قرية قرية من قرط  
صعاء ورفتها تدعى للقمر لألسها يلى . هذا يوم لا أذكر أنى رأيت مثله  
وربما عاد الله يعيش معا كما كان يعمل قديما ونحى أطفال

أحدث شعسى وستى الخوص وما قد احتاحه من صنطر وخيط . لم  
ممكن مستعدا للصيد ولا اشترى طعاما . قلت سأجد من اشترى منه  
على الشاطىء . يوم كهذا لا تتأخر فيه الأمور ..

ما كدت أعلق باب شفتى واستندو لأنزل حتى رأيت طفلا يدمع  
الوجه يصعد بصعوبة واضعا يديه على ركبتيه صاعطا عليهما بالتبادل كلما  
صعد درجة . كان يرتدى جلبابا أبيض ، وأطلقت الفمضة من عنقه  
السوداوين حين رأى لوجدت نفسى أنقسم قبل أن أسأله ماذا يريد ، وما  
الذى أدعاه العسارة ، سمعت صوت امرأة تناديه من أعلى هاتمة بسرعة  
بانهاد : قال : طيب : وزهر بضيق جميل مظهر إلى وانقسم كأنه يشهدنى  
على احتجاده وتعبه وارتفاع النسم . قهرت اذن إحدى الشفق يسكان  
وهذا الطفل البديع الذى نزل فى الصباح الباكر ما فعل ذلك إلى كى أراه  
فى عودته وتكتمل ساعة اليوم بالمسرة . لكن متى دخل السكان العمارة  
ونقلوا أثاثهم إليها ؟

كيف لم أحس بذلك ؟

ووجدت نفسى أنزل قادرا الفرج كفرس .

فى السماء تعبر الخو وشاعت فيه البرودة فأدركت أننا ودعنا الخريف  
سهايا ، وما هى إلا أيام ونهطل الأمطار الصلابة التى يبدو من كثافتها جهلها  
من فوق الأرض بشرا .

— واضح أنك أصبحت صيادا ماهرا .

قال ماجد الذى ذهبت إليه فى الصيدلية أعطيه بعضا مما اصطلته .  
كنا نجلس حول مكتب صغير يتأحد الأركان

قلب :

— أفكر فى شراء ماكينة صد إضافية .

كان هذا صحيحا ، فالمنطقة خصب المطار صحرية عبيدة اديه يكثر  
فيها السمك فى الأيام الحارة أو النافذة أترج وأن أنور السمك وأون لو  
اعتصبت قلب البحر . الصيد بالنسيبة فى ليس هواية أو نسيبة . وماذا  
لمست فى حاجة اليه قلنا لا أعول أحدا يحتاج لكل ما أحتاجه ، إنما أن  
أشاجر . اليوم لم أشعر بذلك بنفس قوة الأيام السابقة

— أهدرنى لا أستطيع الحضور الى المقهى الآن سافر الدكتور موسى  
الى الكويت ولا أحد يساعذن

— أنا أيضا لا أذهب — وانست — اليوم رأيت سكانا جددنا .  
— حقا ؟ . نوى وأج . أنت بطل نعيش وحدك فى عمدة خالية كل  
هذا الوقت . المهم أن لا يلقوا بالأثاث فى الماء .

ضحكنا . دخلت امرأة متوسطة العمر ترتدى فستانا رخيصا وتحمل طفلا  
على صدرها لا يكف عن السعال والانتعاض كإفئاع الطبل وهى تحبته  
بذراعيها بقوة خشية السقوط فهض ماجد يقابها من خلف الفاترمة . بلد  
أنها لا تستطيع أن تمد يدها بالروشة التى تمسك بها يوان أصابعها فمد هو  
يده وتناولها . تنقل أمام الفاترينات العالية بمحصر لها الأدوية فيما اتخذت أنا  
الى وجه الطفل الذى يقابلنى من فوق كتف أمه وسخه صغير شديد  
الشحوب يخرج من فمه لسان مزهوق .

وصحتها :

— طيب خذ الاثنين جنه ؟

رأيت ماجد يجز رأسه ويتسم وقد ذراعه يرتج بها على ظهر الطفل

ثم يصع الأدوية في كيس ويهد دواحه ليعلق الكيس في أصابع الأم التي استدارت تنظر إلى بوجه عجول وتسرع بالخروج

— إسمعي .

ناداهما فوقت عند الباب واستلوت .

— نعم .

— لا تصيري عليه . يهديه إلى مستشفى الشاطلي أحسن .

— حاصر .

قالت وخطت وراءه هو يجلس صامتا للمحطات

— ليس معي ثمن العلاج وكتب لها الدكتور أدوية نهدم جملا

ولهي أن يأخذ منها ١ الإلثري جنبه ١ الذي بدا أنها لا تملك غيرها تذكرت الحسدالة جنبه التي اخفيت أمرها عنه وعن حسني . فكرت أن أهادر النكاح فوراً . إلا أني سألته .

— أليس هناك أخبار عن حسنين . ألا يزورك ؟

يصدق ماجد بضحك صجأة .

— هه . زرتي منذ أسبوع يشتري بعض أدوية . أعطيتها له هدية

ومعها بعض الياقوتات نقد نروح حسني

— نروح ؟

— أجل وأود زيارته نكني لا أجد الفرصة .

— نكنه لم يجز

— هو بعينه لم يكن يعرف وجد نفسه فجأة يعيش وحده مع أمه

بعد رواج آخر أحيوته ثباته خروج .

— واشعة ؟

— في نفس شفه أمه

وقام يلبي طلب عدد من الزبائن دحوا معا وتركسي أفكر في أمسلي  
الجمعاء التي انزقت من قمي . إذن حل حسنين للمشكلة في أسرع  
وقت . لماذا أصبحها مشكلة ؟ ... أخذت أقامل جريدة الأهرام لمقاة  
ياهمال فوق المكتب وعلاويها العريضة تتحدث عن الالمجرات في إيران  
وعرب وصول الخميسي إلى طهران . عاد ماجد ياسما . ما كان يجلس حتى  
دخل شاب يرتدي بظلمون جينز وجاكت من الجند الأسود نظر إليها  
ووقف مرتبكاً . تقدم ماجد ناحيته فإذا بالشباب يحس برأسه يهسر به  
بشيء . اتسم ماجد وقال

— آسف لا أتبعها .

خرج الشاب ينظر إلى الأرض . عاد ماجد يهر كتبه ويقول

— يسأل عن حبوب ملوسة .

لم يكن شكل الشاب يوحى بذلك مما جعلني اندعش بحل . قال  
ماجد في المسألة ليست بالمظهر ، وربما وصفها أحد له . تذكرت عبد  
السلام حين قال أن ماجد يحمل وجه طفل لم يتغير منذ كان طاب معه في  
التنزي هالسوات لا ترك أثرها عليه ، شعره الأسود أسيد كما هو وبعده ،  
وجبه الخمرى لم يزل يشرق بالانسم ، وكل ما تغير فيه زيادة تنفيلة في  
الوزن . لو مشي ماجد وسط عاصفة ترابية لخرج منها دون أن يصبى به  
خيار ، وكلما تراه فكوت أنه طفل اعتنت به أمه تنورها واطلقتها في الطريق .

— هل تقدم في اللغة الألمانية ؟

تساءلت فاجسم .

تذكرت الألماني . تعرفت إلى امريكة قالت أنها ستساعدني في السفر  
إلى امريكا ، غابيتها صندة في ميدلية صديق في بالعجمي . حالت لنادا  
أدوس الألمانية وإجليرجي ممتازة ، الأفضل أن أطور ما عهدي ولا أبعد من  
جلدي ، وأبدت استعدادها لمساعدتي على الالتحاق بإحدى المعاهد  
الامريكية لو معامل الأدوية الكبرى . إنها في القاهرة الآن . روجها جاء

أصلا من أجل بعض المشايخ الاستثنائية وسياتران في يناير القادم .  
أرسلت لي من القاهرة خطابا تؤكد ما قالته .

يتكلم جاد وثقة ، وأنا أفكر ما الذى يدفع ماجد إلى السفر ، وأدور  
معى عن عيب الأدبية المرسومة بمخلعة الأكران والأحجام في العائريات  
الرجاجية الدائرة مع الجدران . هل حقا توجد أمراض بهذا هذه الأدبية  
وأوسعها . ولم يكون عدد المرضى في العالم ؟ هل يوجد أصحاء حقا لم  
أما يعيش فوق جراثيم وميكروبات لا يقتلها حر ولا برد وتنتظر دائما قابضة  
في الأركان ؟



إنفجعت بوابات النساء عن المطر المذخر الذى لم يكن منه بد .  
تكررت الاسكتلرية في النيل الذى تمد فوق النهار ، وسيت حسنين  
وزيارته .. صرت أخرج في السادسة صباحا كأنى أخرج في منتصف  
النيل . أمشى جوار الجدران باعدا بقلمي ما استطعت من الأحوال  
تصادفني المياه الساقطة من المزاريب فاستند بكفى على الجدران بكاد  
صندى ووجهى يحدكان بها ماشيا ما استطعت على سنى حذائى وأكاد  
أزرق أكثر من مرة . أرى الناس تفعل مثل فيندو لي أنا نستيقظ نبدأ  
يومنا كالخشرات ...

لم أنقطع عن العمل ماد أفعل في بيت انقطعت عنه الكهرباء فلم  
بعد فيه غير شموع واحدة ؟ كان العمل قليلا والكثيرون تعطلهم  
لأمطار . أجلس في عرشي أقرأ الصحف التى تحدثت عن هذا الشتاء  
الذى يحاجم الاسكتلرية كاسحا فيعلق البوغاز ويحطل دخول البوغاز  
وبعير شحاتها ختمت لو دخلنا في جماعة ، وأحييت أن أرى الناس تأكل  
أولادها بعد أن تشح القطط والكلاب ؟ .

عندت الصحف عن التميزات التى حدثت في انقلاب الجوى حول

الأرض نتيجة للاضطرابات القوية التى تجربها الدول الكبرى عد والصبرى  
سرا ، وعن تنبؤ بعض العلماء بعودة عصر الجليد واندثار الحضارة  
الحديثة ، وعرض التلفزيون صوراً للأمطار في أوروبا ، والموج التى عطلت  
الشوارع والبيوت ، والظفارات التى تصادمت ، والموق الذى قتلهم  
النيد ، وتحدث الموظفون عن غضب الله على أمة صارت فيها النساء عرابا  
وصار ميا الرجال لصوماء ، إلا أن موقعا عاد مؤخرا من نيبيا قال أن  
القذافي هو السبب لأنهم هناك يستمطرون السحب في غير أوقها

قال أنه شاهد ذلك بنفسه حيث تصعد الطائرات تسلط على السحب  
مادة كيميائية فتدبها على المناطق الصحراوية المروعة . بل أكثر من ذلك  
تبحث الطائرات عن السحب في المناطق البعيدة ، وتدخلها أمامها كالقنم  
الى المنطقة التى يراد بها حيث يتم إذاتها مطرا . هذه العملية العجيبة  
تسبب مع الوقت في إفراغ فعال ارضها من السحب ، فتندفع سحب  
عاضية من أقرب الأماكن اليها محلا هذا الفراغ اهاطل ، ولا أقرب اليها من  
أوروبا ، والنتيجة أننا نكاد نغرق .. العالم مثل الأواني المستطرقة اذا مات  
واحد في اليابان ولد واحد في الولايات المتحدة !! ..

كان يدور بين المكاتب طول النهار هذا الكلام ، وبعض أكثر وقته في  
البوخه حيث يفضل الموظفون أيام البرد الانتقال اليه وتناول الشاي فيه  
تلمسا للدفء في مكان ضيق ، وكان جانا وحاسما كأنه يمزج نظرية  
اجتماعها . يصحك الموظفون فيسوق الحجاج والبراهين . يقول أن أصغر  
طالب في الإعدادي يعرف أنه اذا وجد شخص جوى اندفع الهواء ليملاه  
فيكون حر أو يرد حسب الريح القادمة . لقد خلق الله العالم متواربا ولا  
يقسمه إلا بى آدم ، وتجرب مثل على ذلك هو السد العالي الذى تثار  
حوله ضجة كبيرة الآن . لقد تسبب السد في نحر الشواطىء أى طميا  
للبحر على البر . قديما كان الفيضان وطمى النيل ينسكب في البحر  
للتوسط فيمتلئ هذا الأذى . كان الطمي يحمى من قوة المرح ويصوحه  
مياه البحر . الآن يتمتع البحر بحرية ضرب البر ولا يجد من يصدى له .

ولن تمر خمسة أعوام حتى تختفى وشيد ومياط من الخريطة . نفس المشكلة ستحدث لو أدى النيل نفسه الذى هو الأرض الزراعية التى كونها العلمى المترسب عبر ملايين السنين ، وكان يأتى كل عام ليعادل الرمال القادمة مع الريح من الصحراء سواء من ناحية الغرب أو الشرق . الآن تتآكل الأرض الزراعية على جانبي الوادى وتغريها الرمال ولا تجد طمياً كل عام يعادل معها ، ولن تسمى مائة سنة حتى تعود مصر كلها صحراء كما كانت ويختفى وادى النيل . الطبيعة دائماً طيبة معنا ونحن نؤذى ربي .

في لحظات فكرت أن كلامه حقى وحقت . سألت نفسى ماذا ؟ لا همى ومياط قلن اشترى منها أثاثاً لرواحى الذى لا يلوح فى الأفق ، ولا همى رشيد فأنا أصطاد السمك بنصى خلف المطار ، ولا همى البند كنها لأى لن أعيش مائة سنة ، الا لو عادنى الله ، ولا احسب أنه يفعل ذلك لأننا نعيم ...

صرت أعود الى شغفى فى العصر كأنى أعود فى منتصف الليل . أشعل ناي المبتة وأنا أرتجف من البرد ولا يستجيب لى نور الكهراء . أشعل الشموع وانظر الى التليفزيون الصامت فى كآبة . اسمع حركة الاطفال وضججكات العائلة الجلينة فى الدور العلوى فافكر فى هذا النوع الجديد من البطولة الذى سيضاف الى بطولتى السابقة لاذ سأحيا منذ الآن وحيداً وسط أسر يتوالى . افكر كيف حدثنى لى مرة عن شتاء كهذا غرقت فيه القرية وتهدمت بيوتها ذائبة فى الماء فصار الرجل حتى الركب واشتعلت الحرائق كأن الدنيا تظمر رثا وجارا ، وانهدم الجامع فوق من غصصوا فيه ، ولم تكن تمر ساعة دون عويل على بقرة نفقت ، أو عجوز تجرد ، أو طفل مات . قال أن أمرته عجت جميعها لأن جده - شجرة - أغلق الباب عليهم منذ البداية وقال ليقص الله أمراً كان معمولاً .

كنت صامتاً بالليل والنهار . اسمع وأنفجر على وجوه الناس شاردة العيون وأشعر أن هذا الشتاء لن يمر بسلام .

\*\*\*

لم يحضر المختار سوى عدد قليل أعضاء النعابة وعشرة أو أقل من العمال وموظف واحد هو أنا والحاج لقمان الذى جاء جلسته حورى فصبرت عنكمنا . له فى حقى خمسمائة جنيه لم أفعل له بها شيئاً . لكنه نجح فى الانتخابات ، وكان يعرف أنه سينجح ، ولا أعرف لماذا لم يفر لميله . لا بد أنه يمتز الكثير منها . اذا كنت أنا لأحدث خمسمائة جنيه كممثل لحي صعب كالدخيلة فكيف لأحدث مئتين العديريه والوردبان والمفروزة وميا البصل ؟ .

فى البيت استقبلنا شاب لا يختلف كثيراً عن الذكورى . عرفت أنه أخوه . جلس معنا فى حجرة صغيرة صامتاً متورم العيين من البكاء . يتنا جلس الشيخ مدحولا يلطم كثيراً جنبه المبتة الدبل فوق وسور ركبته ، وقرأ مرتعش الصوت والكفنين والأذنين فى الوسط عدد من الشموع فوق منضدة رخام لاقطاع التيار الكهربى ، ويسمع صوت رجات المطر فى الخارج فيقول البعض هنا « البهم الطيب ببدلك » بنا لى الحاج لقمان اكثراً حرنا

— كان الذكورى نية الشباب

— كان يملك فاحاج ولا اعتراض على أمر الله

قال الحاج لقمان ورد أخ الذكورى عليه

ما الذى جعل الحاج لقمان يذهب لى ؟ أم رغبة ؟ قرب العامرة يفتقد هلاكي لصيد العامرة فى الخلاء وسط الصحراء فى هذا المطر الداهم ولذا صحبه الذكورى ؟ ما هو نوع الثمن الذى لفر فحأة من محبه لاختار الذكورى من بين الكوكبة التى تصحب احاج لقمان يلدغه فى ظهر يده ؟ قال احاج أنهم وقوا مدحونين وهم يروى الذكورى بصريح ويتلوى على الأرض وقد مشجت أصابع كفه اليمنى مفتوحة على اتساعها وقد أمسك المعصم بكفه اليسرى فى الوقت الذى بدأ الثمنان الطويل الأصفر المشرب بالخضرة يعود زاحفاً على مهل لا يدرى ماذا فعل أو لا يهتم . قال الحاج أنه لم يتوان فى حمل الذكورى إلى مستشفى العامرة فى

سيارته التي قادها بنفسه إلا أن الذكوروى مات في الطريق - ليفض جيلته  
وبانت عظامه رغم أن للسافة لا تستغرق عشر دقائق بالموسم تحت  
المطر . قال أيضا أنه فكر دون إرادته في شكل الثمان وكيف تم الحادث ،  
وأكد أنه كان مُرسلا ليعذ فضاء الله ، وإلا ما عسى الحاج ومن معه  
عنه ، وما صار يرحف في هدوء وأطمئنان بعد الندغ .

نخرجنا نهيرل في الهواء الذي يصنع وجوها من كل ناحية ، ونقفر  
تحت المطر ووقوف المياه وفي الظلام .

— أعلدلى ما منعنى غير المطر .

قلت لحسنتين الذى زرت في شهر مارس بعد انقطاع المطر بأكثر من  
شهر .

— وأنا أيضا . لم يكن مطرا هاديا . كان غضبا .

قال وهو يترك كفيه في سرور . هو الذى فتح لي الباب فرأيت في  
الروب الصوف وطوق رأسه الطاقية الصوف روجه أحر شديد الإشراق كما  
لو كان قادمًا من أمام قرن . ما كدنا نجلس حتى نادى : انتهاى ، زوجته  
قد دخلت يسبقها عطرها .

— هذا هو شجرة الذى حدثت عنه — وعاطبني — ليس لي كلام  
إلا هنك وماجد عهد السلام . ألا توجد أخبار جديدة عن عهد  
السلام ؟

كنت وقعت أضافتها وهي تبسم بمودة . إيتيكك ولم أعرف هل  
أمتتها أم أرد عليه فجلست .

— أعدلى مرة أخرى يا حسين .

كس حشقة أشعر بالتفكير . وكان هو لا يزال يدعك كفيه في

بعضهما . نادى زوجته من جديد فأقبلت تحمل طبقا كبيرا من الصبى  
التفوش يزهر برادية مائدة وفوق البرتقال مقشرا . وضعته أماما على  
الضفة الرخامية المنخفضة . خرجت ليديها بعد قليل فعدت جاملة  
طبقا يشبه السابق فوقه الموسيقى الكبير للتمتع . انصرفت ليديها بعد  
لحظات فتدخل حاملة طبقا من نفس الصنف فوقه النوز . في دهشة أقول  
: لا داعي . . . . . تتسم ببداعة وهو يصير ويقول : الشاى يا انتهاى ثم  
القهوة . . . . . يقرب من العاكهة ويقدمها لي بيده ويحلف حتى آكل . أتردد  
كثيرا ويحى ولا يتركى حتى آكل وأكل . أشعر للعاكهة صعبا مختلف عما  
ذقه في حياتي واتساءل هل تمررت العاكهة في مصر وصارت أجمل فجأة  
أم هو الجو الأسرى المشبع بالأكف حوى .

دارت عياني على الجدران العلوية بالزيت الجديد ، والمقاعد البسيطة  
الشكل والنمى هدت لي الحجرة جميلة متجانسة . تابعت حسنين وهو لا  
يكف عن فناء روجه في سرور طفل . يستقبلها بعينه مفتوحين بالألق ،  
يتناهم بها في سعادة غير المصدق . فكرت أنه هو الذى خلقها لنفسه  
بنفسه وإلا لماذا هذا الزهو العطر والفرح ؟ .  
— هيه . ما رأيتك في الزواج ؟ .

كنت أتوقع أن يعيد سؤاله الذى لم أجب عليه عن عهد السلام ،  
وابصرت روجه وهي تصع الشاى أماما . صاحنى بطيه منها أن تعد لنا  
الغشاء . وقضت هذه المرة بشدة فارتعجت روجه وأحر وجهها وقالت  
بصوت خافت كالسمة : لماذا ؟ . فلم أعرف بم أحيب واستصممت  
مرجعت بحسب عيسى في أنقى بصوت مسروح .

— سأزوجك . دلم على نيارتا .

رأيت وجه روجه يشتعل من جديد وأحسست بأذى تشتعل .

○○○

لماذا قال دلم على نيارتا ؟ . نجا أى وجله والعائلة كلها من النسر



كاسح لأهم تركوا أمر الله بسعد . هاج من اللاتني أن يصيح دعائي إليه  
برغبى في الزواج ؟ يحسها من لا ينال يا حستين وأمر الله لأبد ينفذ .

مضى شهر وشهر وسكرت الذكورى في عيد العمال فكذبت أبكى  
لا أعرف حتى الآن ما الذى لؤاده الذكورى منى أو أركه لى . كيف  
سكت عن جرائمى التى كانت ترفع نجه الى السماء لو أراد ؟ .

كالعادة لم يشارك في عيد العمال غير أعضاء مجلس النقابة . بدت  
الاسكندرية وهى تدحرج في الصيف جهمة هذا العام فارتدت لباساً أصغر  
من الثياب . جهزت أدوات الصيد ، واشترت ماكية جديدة ، وفكرت  
أن أعرق حنيني وروحى الرقيقة باسمك فديس والبورى . لم أكن أعرف  
فى لى أصطاد دحل الأسطى زهم حجرى كذت أساءة ولم ذلك  
ما جعلنى ألقاه باسم إن العادة وأحتفى به مرحباً وقال صباة

— تعرف طبعاً أن الذكورى مات ؟

جعلنى حسم

— هاك انتحابات عامة للقبائل في أغسطس ولقد وشحاك لمنصب  
النهب .

تأملت ولم أستوعب كلامه في الحال . يقول منصب النهب ويقول أنهم  
رشحوني .

— أنا ؟

— طبعاً .

تأملت تأمل وهرشت رأسى بأظافر يدي اليسرى

— أنا ؟

— طبعاً

صرت انهم وصر هو يسم .

— لى هزوة يا سنا شجرة فقد استقر الرأى

— رأى من ؟

— رأى ورأى السائقين وملائي ورأى العمال

تراجعت بمنعدى الى الخلف وتطلعت اليه من جديد . سمير جد .  
يكاد يشعل مضاء أحجرة كله ويبدو للكلام خارجاً من منه الصغير كأنه  
خارج من ثقب في برميل وتحدث في لهجه رائعة تدعو الى الصلح  
حقاً .

فلمكنى استراحة عميقة . تذكرت يوم عودة السادات من كامب ديفيد  
وكيف تأمر على مع زملائه ، وكيف فاز وحده أو معهم بشمل الوجبات  
الماهرة .

قلت

— ماذا تريدون بالاصط ؟

— لا شيء . أنت أحصل من قوى هذا المنصب . الذكورى لم يكن  
يخدم العمال . كان انتهازياً يخفق مصاغه الشخصية .

سكت قليلاً . الرجل يتحدث في السياسة . هذا الوغد يتحدث في  
السياسة . الذكورى الذى أنقطع عن التدخين بهزج كان انتهازياً ؟ .  
الذكورى صاحب الوجه من سوء التغذية لم يكن يخدم العمال ؟ .  
الذكورى الذى أتاح لى ، ولقد الضيع الضخم ، أن سرق أموال الشركة  
كان انتهازياً لا يخدم العمال ؟ ...

— يا اسطى زهم انتهت الاستقبالات الببد هالجة كما نعلم . أم أنك  
لا تعرف ؟ . معارضة وفئة طائفية وكل يوم نصية لحزب سرى ،  
مسلمين وشيوعيين وعملاء نفيا وسوريا وأيمن وكل الدنيا ، والرئيس ناب  
شيمة في الشعب صابحا وصاء ، وتطلب منى أن أرشح نفسى .  
تأملت كثيراً وهو يحط شفته السفلى هر كته الأيسر بالتراب منى  
بوجهه فمحجزه المكتب وكشره مما إلا أنه قال حسم :

— واحنا مالنا !



ظلت أدوات الصيد مكدونة في المطبخ . علاها التراب وكسا لماكية

أحديده أيضا . أتبعى الأسطى منهم الذى وجته أكثر عافية منى . كان يسبقنى فى الرزح متدسا بين العمال داعيا لهم أن يلتموا حولى . يصافحونى صاحكين لكن لا يتحدثون معى فى شيء . توقعت اسئلة كثيرة ومن كل نوع عن مطالب عديدة ، لكنهم يكتفون بمصاحفى والانسام ، والدعاء فى بالتوفى ، وينصرفون الى الآثام .

أحسست بعداء حولائى ، وأن نوعا من الولاية يسيطر علينا جميعا ، إلا أن الأسطى منهم قال لى أن هذه هى العادة ولى اتخايات . للمهم أن يرك العمال بينهم أكثر وقت ممكن . لم يكن ذلك سهلا . لكن بينهم ولا أدري كيف ، استطاع إقناع المهندسين ورؤساء الأقسام ألا يعترضوا دعوى الورش ولعامل . كونا لى فريفا من السابقين يتولون طبع بطاقات الدعاية واللائحات والمصنفات التى حمت شعارات قرئت مثلها كثيرا على لافتات الإنتخابات فى الشوارع ، شجرة حور من يتشكهم ، ، شجرة

لصير العمال .

ما لذى جعلنى انقطع فى هذه التجربة ؟ لا أدري . أمشى ويمشى الأسطى بهم أمامى . لكنى رأيت لأول مرة الشركة التى أعمل بها منذ ثلاثة عشر عاما . مساحات واسعة من المنصاه الأبيهى بين الورش لا تشوهها ألواح تصاج محروية ولا الصناديق الخشبية المضحمة ولا الأوتاش لمعفة . لى لوروش صرث أشم رائحة الزيت وانسجم على الأرض ، والملابس ، ورائحة اللحام ومصهورات الحديد . رأيت عمالا يتحركون فى عناية ومرح ، يتحركون فوق ماكينات الخراطة والمناشط العملاقة وماكينات تشكيل الألواح وقضهم فى مودة وحشوع وحبه الكتيين أليفة لى من ترددهم على يصرون بيما أو شهادة ما ، أو ابدعها فى اللغف . اكتشفت قيمة عمل م يكن مع لوروش وليس كل عامل مجموعة أوراق أمامى . بين دفتى اسف حبة دسمة علاوات وبرقيات وحصومات ومرص واضطاع وروح وعقاب أما تقريبا أكثر موظفى الإدارة شهرة عند العمال . وقعت كثير مع العاملين عند السعينة التى يتم ملؤها وهواء البحر يتنابع

عاملا حولونا وأنوفنا موسعا فى صلورنا والبحر يبدو لى معلما عه أمام شرفة شقتى . هنا بحر زاهر بالسفن البيضاء المختلفة فى المياء ، نسج مداحنا: الخوداء العريضة والقصيرة ، وريق أجسام بحارتها العذبة ، والشمس تبدو تيارك هنا الكون الراهى بالحركة وأسمى نمند مسجاسح لماء كأنها تنهد وصوتها نهينة حميمة . لكنى كنت أعود متعب لى شقتى فأنام مبكرا . فى كل يوم أهيط الى الشركة أقرر الإستمرار فى التجربة . أعود لى شقتى تشتعل النار فى قديمى أقرر الانسحاب . الأسطى بهم والسائقون يأتون لى أيضا فى اللشعة يتحدثون عن ضرورة شراء أرض فصاه بنى فوقها مساكن للعمال ، وضرورة بناء مسجد وسط لأرض . أتقسم وأقول إن شاء الله يتحدثون عن ضرورة زواجى لتعمر شقتى الحالية . بل فاجأ لى الأسطى بهم بقوله أن إذا رغبت حقاً فى الزواج فما عى إلا أن أشير إليه فيقوم هو بالملازم على الفور . حقا قال ذلك . حاولت أن تعافل عدا قال . كنت أنفجر فيه ألا ينسى أنى صاحب الفضل عليه ، وأنه فى النهاية طالب رزق أما أنا حظز فى النقابة وكل شيء . لكنى حدثت عن قلة خبرنى بمشاكل العمال . « هل سألت أحد شيئا ؟ » سألتى . أجبت « لا » . قال « لا مشاكل » . وحشنى على المرور على المقاهى القريبة من الشركة بأحياء القبارى والمفروزة والورديان حيث يحرش أكثر العمال ويسهرون . قال أن هذه الطريقة لم يفعلها أحد من قبل إلا مرشحى مجلس الشعب والجالس الحلية ، وأنى بهذه الطريقة أحسن الفوز تماما خاصة وأن هناك لغطا يشبه أعضاء النقابة القدامى حول ترشيحى . يروجون لدعائيات تقول أنى فى النهاية موظف بعيد عن العمال وإن كنت لا أحمل مؤهلا عاليا .

بدا لى الأمر جانا ، إلا فنى أحسست به يكذب . لم يسو أن أحدا مهم بهذه الانتخابات ، لا من القدامى ولا من العمال ولا من المهندسين والرؤساء . الكل يصافحنى بإحسانة عريضة ويمنى لى النجاح ولا يتحدث معى فى أى شيء . لا يسألنى لماذا رشحت نعى ؟ . كل ما

حدث وأحسن به أنى انقضت أكثر من مائة وخمسين جيها على الدعاية حتى الآن . لكننى عطلت ما يريد . لا يمكن أن أراجع . أريد أن أكون نقيبا لعمال . أول مراقب متكون عدم الإشتراك في المسيرات واستقبال الرئيس والرؤساء . سأقطع الطريق على زعيم .

صبرت أعود من انقضى مهلوقاً بعد منتصف الليل . لم أجد إلا عمالا يبيعون العصاوية والدومينو ويرتفع صياحهم بالصهر و « المعية » للمهرود . يعبثون لي شاي أو قهوة ويتراجعون أمام إصراري على دفع احساب كله مرة تحدث أحدهم فقال :

— أهم شيء بالاستاذ شجرة أن تفعل شيئا لامباني .

— من هو لامباني ؟

— ألا تعرفه ؟

— لا .

نظر الى زملائه ثم مصدق ولال :

— أقدم واحد في الشركة . إنه حكاية وحده . ممكن .

سكت واستمر هو في الكلام

— منذ خمس عشرة سنة ، والشركة مشروع بم إعداده ، كانت الأرض بحر وكانوا يردمون البحر . سيارات النقل تأتي محملة بالتراب والحجارة وتلقى بها في الماء . كان امباني بين العمال الذين يقومون بتسوية الأرض بعد أن يرتفع التراب فوق الماء . كان قادما تنزه من الصعيد ومعه أخوه الأصغر . سقط أخوه في الماء ولم يستطعوا انتشاله . فشل الغواصون في انشور عليه ، ولم يظروا له اجثة الى أي مكان على شواطئ الاسكندرية . من يومها وامباني لا يماري الشاطئ . يأتي قبل العمال جميعا ويجلس أمام الماء يرتقن بامباني بامباني . أخوه كان اسمه امباني أيضا . ويلطم مع كل كلمة صدا من عذبة يذ من يديه وعينه لا تفارق الماء ولا الحيط الذي ينصبه لصيد السمك . يذل إلى الماء أكثر من حيط يقصد هاية كل منها ببطءة حجر كبيرة حتى لا تأخذ السمكة الحيط وتهرب إذا تحرك

الحيط واصطاد سمكة انتشلها بسرعة وأخرجها من الصنارة ودو رأسها وجسمها بحجر وطوح بها بأقصى قوته الى أبعد نقطة يصل اليها في البحر . في الساعة الثالثة تماما يكون قد جمع خيوطه ويترك الشركة مع العمال أحمر وأزرق الوجه بجرح الكفوف لا يصدق امباني حتى الآن أن أخاه مات ، ولا يصدق أن السمك الذي أكل أخاه لم يعبده . لكن كيف لا تعرف امباني ؟

كانت الحكاية مفاجئة لي بحق ، وللحظات فكرت أنه يكذب على . لكن عاملا آخر قال :

— ماذا تريد أن يفعل له ؟ الشركة تصرف له راتبه وتعرف أنه لا يعمل منذ خمس عشرة سنة . تريد أن يقفه الى مستشفى الجيوش ؟ لقد صار عجوزا سقطت أسنانه وزاعت عيناه وآجلا أو عاجلا سوف يموت

في تلك الليلة سمعت حركة في الشقة المقابلة لطقت في الصباح ، وكان يوم الجمعة ، صبحوت مبكرا على غور عادتي مند رشحت نفسي . وقفت في الشرفة لي ينني ألتصق الى البحر . رأيت أربع ساء صفوات جيلات يشنون المسيل في وقت واحد أمام الشرفات يتبادلن التحية والابتسام . إذن أزداد السكان ومارموا ما أبشع ما أفعل أنا الذي أعود بالليل جارا سائقا كأنهما جولا ملح أصغر مبكرا ، والرجال الذين يملكون هؤلاء النسوة الجميلات لا يزالون نائمين . الصب بوعاد حقا ، موع تام فتخلص من كأي آله تتوقف قليلا مترنح وهو ي ، وموع تام جأعلك للأحلام الجميلة ، وهو لأوكك الأرواح

لقترب موعد الانتخابات . لم يجد عيمتي إلا ان تنهي فاستريح . انقضت حتى الآن مائتي جنيه في الدعاية . لم يجد يمكنى التراجع . تمعدت في جولاني ألا أقترب أبدا من البحر .. لا أريد أن أرى امباني

هذا . الحقيقة أنى كانوا ما شعرت بالحماصة رغم الجو الكسول حولي .  
اجتاحنى الرغبة فى الفوز لفكرة لا أستطيع أن أشرح بها لأحد الآن . ولم  
أكن أدري أنى فى دورى على المقاهى أمر كانوا بيت حسين فى القبارى :  
فى مقهى « الشش » رأيت مقبلا يحوى بانفسه الهجعة ووجهه المشرق .  
كنت أجلس بين عدد من العمال يدعون « للعسل » ويتكلمون مع  
الدخان الكثيف ، شذع من أمومهم التى يمتحنونها بشكل غريب .

— أنت هنا قريب من بيتى ولا تزورنى ؟

امسكت يديه أشده لجلوس . تنبه متأخرا إلى العمال الذين حولي  
فنظر إليهم لى لرباك .

— حسين صديقى .

قدمته لهم فقال أكثر من واحد :

— يعرفه . هو فقط الذى لا يعرفنا .

وجعوا بظهوره بمواقع بيوتهم ووجهه يزداد احمرارا ودهشة . تضايقت  
فعلا من هذا الحديث الخائب .

— جلسة انتخابية .

قلت مبتسما فابتسم . أعرف أنه لا يصدق ، بل لا يفهم ما أقصد ،  
لكن العمال حدثوه عن شرفهم بتسليلى لهم ، وعن المؤتمرات التى تمكث  
ضدى ، وعن تصديهم لهذه المؤتمرات والدفاع عن سميتى . الأستاذة شجرة  
ليس بعيدا عن العمال ، بل هو أعرف الناس بهم . لللفات هذه  
وبانفعات كل شيء عن أى شخص .. كانت هذه أول مرة أسمع عن  
المؤتمرات . وأعدلى حسين خارجا :

— لماذا لم تأت ؟ لقد رشحت لك إينزال فتاتين وكنا نرنا كل  
شيء .

— لماذا لم تغبرنى ؟

قلت ذلك بعد لحظات . بعد أن أدركت أنه يتحدث عن الزواج .

— حضرت أكثر من مرة ظم أجلك . لا فى المقهى ولا لى البيت . م  
أكن أعرف ما تفضله . أنجيت ماجد .

— لم يغبرنى بشيء . — وسكت قليلا . وما العمر الآن ؟

— لا شيء . تزوجت الفتاتان . موسم صيف والعائلون من دور  
البرول لا يقرون على شيء .

جعلنى أضحك بعد أن كنت أتكلم كالأحزب . فكرت بجديفة ما  
يعمل من أجل حق . لكنى لم اتصافق من نصي . قال وهو يودعنى :

— بالناسبة اخراج لقمان كان يجلس فى هذه المقهى فى باكر أيامه .  
سوف أمر عليك يوما .



سمعت طرقا شديدا على الباب . من الذى يفعل هذا فى السادسة  
صباحا يوم الجمعة . خفت للحظة . فكرت أنه لا أم ولا أب ولا أخ لى  
ولا قريب أعرفه . تحركت فى حديق من هذا الأحمق الذى لا يدق الجرس  
ومضت الباب .

— الزيارة .

كان يقف أمامى فى جلباب سابع بالفدرة ، يمسو جاكيت محرق  
حائل ، ويضع جواره فوق الأرض « مقطعا » كبير . تحيرت للحظة :

— لا توجد زيارة .

وأغلقت الباب . وقفت وسط الصالة . يأتى عمارتنا الآن  
زبال ! المتألات عمارتنا يذو بالسكان وريبوا حياتهم ولا أدري حتى أمس  
كنت ألقى بالزيارة لى البحر ... وكنت فى حاجة إلى مع كلوت .  
أجريت الانتخابات أمس وفزت بأعلى الأصوات . دخلت سرورى فتمت  
من جديد ..

« يجلس جوار القبلة العامة بالدخيلة شحاذان . أحدهما ناهر  
مدونة لهنداية معروف كان يفتح المدرسة بالليل ويحير المدرسين  
على الخطور والهندوس للحداد الخالية ، والثاني جزار يكي  
الحروف بين يديه وهو يذبحه وقال له إنما هو كبش أرسله الله من  
السما . منذ أيام صار للرجلان ألبسة » .

## منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

« ١٠ »

— نقيب العمال ونام ؟ .

ما كنت أفتح الباب حتى هتف حسنين بذلك . مدت يدي  
أمافحه . لم أحتضه . لم يخفضني يوم ذهبت أهله بالروح .

— اتقاروا صيفه لمينة .

أعسك بطراعى فاستندت على يده حتى دخلت حجرة النوم وتقدمت  
فوق السرير . بصعوبة سحبت « الكوفرة » فوق . قلت :  
— كيف عرفت ؟ .

— صدقة أحد اسرى كانوا معك عتقى اللئس اعترض طريقى  
وصاحنى وقتلى وأدعى ! . كان سعيدا جانا . ألا تأخذ دواء ؟ .  
— لا أحب الدواء . أكتفى باللبنون .

سكتنا قليلا . رأيت بتمحص الأثاث القديم بعيه . لماذا حقا لا  
أحده ؟ لدى مدحرات لا أريد منها . ووقف حسين يتأملنى وتسمع  
نفسه بطريقه منيرة حتى ألى ابتسمت . قلت :  
— إياك أن تطلب انساب إلى المقهى

— لا . ولكن الشرفه . هذه الحجرة كثيرة جدا ولابد أنها مربة  
بالميكروبات . صدرى حساس كما تعرف . ثم أنك لن تشفى إلا إذا  
تعرضت للهواء والشمس .

وامسك بالكهفنة التى فوق وجديها ليكومها بين يديه ثم يلقى بها تحت  
قدمى ، وحاول أن يشدلى من ذراعى بقوة .  
— صيب . صيب . سأهجر .

قلت وأن أصحك بصعوبة هبتر جسمى كله . استندت على يدي  
ومضت جالسا على جديب السرير . حاول جدى من جديد فوقفت  
مضجرا . ما كدت استند على ذراعه حتى جذبها

— إمشر وحدك . سأحمل أنا المتعبين . أنت لست مريضا كما  
تتصور .

بتسببت ومضيت وحدى اتعجب من حسين وما يفعله . بالشرقة  
جديدا .

— غبطة عمرى يا حسين .  
قنت وما كدنا بحس  
— عنصة عسرى . لا أجد وقتا للعمل ولا للنوم . أنهم يأتون إلى هنا  
بمشاكلهم .

— اسمع ، ما نيت هنا لأسع شكوكك . اتيت لأخبرك أن أملاسا أكثر

من عروس لك . إذا كنت جلدا تتحرك ، ولما لم تكن نذهب إلى المقهى  
ونسئ الموضوع .

تأتمته وهو يتكلم . كنت فرحانا به . يبدو في اهتمامه في أكثر منى  
بنفسى .

— بعد أن تزوجت تعبت أشياء كثيرة في عيى أهمها أنى لم أعد أفكر  
وحدى . لم يعد عقلى يسأل ويجيب حتى يصيبه الإرهاق . الآن أفكر  
بصوت عال . اتحدث مع إتهال هارتاج . التعكير الآن مساعدة حلوة  
تصور ، لقد لاحظت أن النساء عموما يتسمن دائما أثناء الكلام . هذه  
البسة لم أتف عنده من قبل . ابتسامه زوجته تبت هبت احصاما  
بالراحة والجمال . بالليل حين نصلنا حجرة واحدة أرى الضوء مبهرا  
جنا ، ونصل إلى البياض في أعظم درجاته ، أبيض من اللبن ، وأشعر  
بسكة الذى امتلك كل شيء فلا أكاد أدرك أن حول غرضا أخرى ، أو  
يشرا آخرى ، أو علما نملؤه المشاكل أو الأفراح .--

نصبح العرة جيرة في بحر ساطع الضوء . أنا لا أغريك بالزوج ، لكن  
أنت فيما يبدو جامل بالحياة . لقد وصلنا في العمر إلى النقطة التى يأخذ  
فيها في الانحاء . أصبحنا نلحق لنلحق بقطار الناس العادى . قطار  
جميل ، وهو الحياة الحقيقية مهما تأخر ، ولو فائنا نصح الكارثة نفسها .  
هل نعرف معنى أن تصل إلى من الأهمى مثلا دون أن يكون لك ولد ؟ .  
أبسط المعاني أنك لم تراء رجلا . لا أعتقد أن أحدا من جيلنا سينجاوز  
في عمره الخمسين بأى حال . أجل . إن عدد الوزارات التى تقببت عينا  
وحده يحقق عمر القيل . جعلنى أصحك متأما وأنا أتابعه بالبحار وتساؤلات  
عما جرى في عقله ليتحدث بهذه الطريقة كأسى معارض حقا لمرواح ،  
لكنه استمر . لا تصحك . أنا أتكلم جادا . من أين يأتون هؤلاء  
الوزراء الذين يزيد عددهم الآن عن عدد الشعب ؟ لكن ما علينا .  
ذلك كله سيقيدنا بيع احساب . سيقف الله أمام البشر ويسأل كل واحد

عن جسميه . انصرفت بالذات سوف يمر بلا حساب إلى الجنة لا عمله من الآم في حياته ، وما لا فاه من تعاقب الوزارات . لا تضحك .. ورغم ذلك فمحر الدين بعدد الأمور لأن ظروفنا مهما صعبت أسهل من غيتا . على الأقل لدى كل منا مكان يؤمله للاستقرار . ماجد يكسب من الصيدلية ويستطيع الحصول على شقة لو أراد ، وعبد السلام سعيد وأول ما يعنيه هو الزواج وسوف يذكرك . لدينا ميرة لا يتركها إلا من قلدها وهم بالآلاف ، وحتى هؤلاء يتزوجون ، يشكون لك اليوم ، ويدعونك إلى زواجهم غدا . يعيشون بأى طريقة ولا يتوقفون أمام أى نوع من اليأس . هذا شعب « خيمة عفايت » يهوى اللغد من سم الإبرة . ثم لماذا لا تنزوح ؟ . هه . ليالك أن تصور لك النقابة أنك ماضل كبير . يمكن جدا . ألم يقضوا عليك مرة ؟ — صرت أنتحك بلا صوت ويتر جسمي كله وأشير له يدي أن يسكت — لابد أن تعرف أنها ليست حرفك . المقدس يحيى يصنع لها أكثر منك ، وعبد الفاكهان أصبح الجميع . وحتى لو أحييت أن تكون مناصلا لابد أن تنزوح . نابليون تزوج ، ولينين ، وسعد زغلول ، وسيلفا محمد ضرب الرقم القياسي ولماذا ذهب بعيدا . جمال عبد الناصر كان متزوجا ولديه أولاد . هه . نقه العمال !! . الحاج لقمان أصبح عضوا بمجلس الشعب . يا أخى يلحن أبوك ابن كلب .

فلكنى الضحك والسعال . بدا أنه الفى عبثا فراجع بظهوره وتأملنى باسمها مبتهجا . تذكرت الخمسمائة جيه لكن سرعان ما نظرت أمامى . البحر يمتد صامتا بطنى الأمواج كما لو كان دائما يحلم ، وفي الفضاء نسبة معيشة حقا . إنه ستمر حير ينشبت بآخر همسات الصيف ، ويفتح بابا للحريف مواربا . هذه الجملة تستعيني من الإنفلونزا اللعينة . أشعر أن لا أجلس وحدى مع حسين ، بل معنا ماجد وعبد السلام ، فهذه الألفة التى أحسها عمه ست لقاءنا الجماعية . كم نحب بعضنا البعض ولا ندري . قلت .

— تصور أنى لم أرى ماجد منذ حوالي عام ؟ بينى وبينه محسر دقائق على قلبي ولا أعرف لماذا لا أذهب إليه أو يأتى إلى

قال وهو يقف :

— قابله بالصيدلية قبل أن أحضر إليك عاتيته لأنه لم يحرك بأمر الفتاتين فقال أنه أتى إليك مزين ولم يحرك . توقع أن تمر عليه فلم يحدث . وكل يوم يصكر أن يمر عليك فيتوقع أن تمر عليه حتى نسى الموضوع .

— حسين أزعجك لا أستطيع أن أصحك

— لا تضحك

— طيب . طيب . حل عرصى كذايا ؟

— أكبر كذاب فى مصر والعالم العربى أيضا

— طيب . طيب . الآن أريدك أن تصدقنى . أنا لا أهد الا شيئين

أثنين . أولهما أن أتزوج ، والثانى أن أترك النقابة .



زوت حسين فحورنى بين اثنتين . أولمة شابة جميلة محببة لديها شقة ومفضل وحساب كبير فى البنك تركه لها وزوجها الذى غرق فى نهر دجلة ، وحياة تعمل على الآلة الكاتبة وليست فى جمال الأول . الأولمة فى الرابعة والعشرين ، والمنة فى السادسة والعشرين . قال ببرة شديدة أنه سد حكيك حكاية الشاب الذى ألقى بالأنثى إلى البحر وهو يعكر أن تزوجنى . وأنه كان جادا حين قال ذلك لأول مرة . ومضى ن ناله لو لم تكن ابتهال ابنة خالته لقلعنى على مصه لأنه فى لحظة تخيلى عذلا تائها فى الصحراء . لم يكن حسين جادا فيما يقول بالطبع ، لكنى أحسست بالخزى من نفسي . مرة يصور حسين أننى مضرب عن الزواج ، ومرة يصورنى عاجزا عنه ، ولم يبق إلا أن يسحبى من يدي ويصدى « امرأة للمسكين » . هذا الشعور القوي عند حسين يصيبنى بتور .. نكسى

تسبب أرى الفتاة « صحتك وجمعت زوجته وهو يقول « الأرملة زوجها عرق  
في سر دجحه ما دبا ؟ . وهل صاغت عليه حتى يستحم في دجلة . ماله  
اعرت ؟ . وجمعتها تصحكك من المرقعة الماخلة واحتلظت صحتكها  
صحتكها الذي دوى . في الحقيقة لم يحطل يدهي أن الفتاة أنصت من  
الأرملة . ويرى لو فكرت فوجدت الأرملة أنصت فهي أجل وأغنى ولديها  
طلعل جاهز لن شقى في تربته . من يدري ربما أكون مثل أنى لا أحب إلا  
بعد عشرين سنة . وانصت على لقاء بعد أسبوع



اقرب اليوم الذي أقدم فيه استقائى من النفاة فكرت في ذلك مد  
يوم لورى ولم يبق إلا أن أحقق ما لم استطع الإصباح عنه لا أكذبكم .  
ففى لحظات كنت اتروى في الاستقالة . لكنى واجهت أمورا لا أطيقها .  
غيب ومرضى وإعانات اجتماعية وإندارات بالفصل وطلبات إحارة بدوى  
مرتب متعارة وتنظيم رحلات بل بور سعيد وإقتراحات بمصروف نحو الأمانة  
معاملين وفصول تقوية لأبناء معامين . لئى كان ذلك كله محبا وكيف لم  
يظهر خلال اخمة الإثنية ؟ . صرت أسمى اليوم كله محبا ومهولا في  
أرجاء الشركة وبين الورش والإدارة . وأدركت لماذا كان الذكورى شاحبا  
هزيبا . وفكرت أنه كان لابد ميت ، إذ لم يكن بلدة النعاب ، فيسوط  
ل القلب . وصار مكشى يملأ في الأوقات القليلة التى أنصت فيها فيه  
بالعمال الذين يفتخرون كثيرا ويصحبونهم بصرف مشكلهم  
مجدبة ، وغصت من التنايه بالنعبات فكشها الصاكب وتلذت من  
لأنصت شباكها حتى صارت العرفة كبيت الأشباح

وامتلات شقى بمر تحيل أن نقاء على أفراد يحل مشكلته في تخلفه في  
الدرجة أو الرتبة ، وجعل الأسطى زينهم بحصر كل من هب وجب إلى  
حتى يحينه يجمع الناس من الطرقات كما يجمع الأوراق المهنه . فتشت

وننى وجهتى أنا الذى تعبدت على أوراق منظمة خرباء و ملقات  
بكساء ألتحقها وألقها وأزيتها وأصيف إليها وأزع منها وتستحب بلا أدنى  
ممنومة . وجاعش الأسطى زينهم آخر النهار وأن أولئك أن أعادى مكشى  
متبا أفكر لو أن بالعرفة سريرا فلا أبرحها . وكان يلهت ويتر عرقا  
وحتى :

— مصيبة . مصيبة بأشجرة .

دب الخمل في جسمى لكنى تماسكت . ها هو يادىنى بإسمى دون  
« استاذ »

— خير يا أسطى زينهم .

— مات إمامى

— إمامى من ؟

— إمامى . ألا تعرفه ؟ . اجلس أولا .

كنت واقفا ورأيت يشد المقعد البعيد إلى جانب المكتب . وقول :

— إمامى انصت

كنت أنا تذكرت إمامى الذى حدثنى أحد اعماله أنه أثناء الجولات  
الانتحائية

— عشرات من العمال يتجمعون حوله الآن . وحلوه محمدا على  
الشاطىء فوق ظهره حوله إصحاك مسحوفة ومن معه تسبب رائحة الزطارة  
ونعمد فوقه دم . بقويون أنه في الفصرة الأخيرة كان يأكل المسك يت  
ويتخمون أنه أكل منه كثيرا اليوم حتى أنعم . امشكلة أنه لا أحد يعرف  
أهلك أو عنوانه

أشرت الى الملعقات وظللت منه أن يبحث في حرف الألف والياء ، وتركت  
دراعى يتهللان جانبي وتسلدت ظهري الى المقعد في استرحاء . رأيت  
الرجل القصم يتحرك أمامى مثل كرة مطاطية وسرعان ما جذب ملعا  
وضعه أمامى وفتح



— ليس به إلا ورقة واحدة

تأملت الورقة فلم أجد إلا اسمه وسنه وعمله ورقابه عند الصعين . لا عنوان ولا أى شيء يدل على حركة في حياته . لا رواج ولا ترقية ولا مرض ولا نقل ولا جزء . ورقة واحدة صفراء حترمها السوس .

— كنت أتوقع ذلك . تتولى النفاية دفعه .

قال الأسطى بهم وأن ثأرهم ماذا لو وقعت وصمته على وجهه هذا الذى يعرف كل شيء . هذا الجاسوس ؟ !

لم يكن دفن الرجل صعبا . هضت الأسطى زنيهم أن يفعل ما يزم ، وذهبت إلى شقتى ونظرت لأول مرة في المرآة . هذا الشعوب الذى يتكرى بالدكرورى كيف أغفل عنه ؟ . لا وقت لدى لضوء الطعام فأعيش على المعلبات التى يكتشفون كل يوم أنها مفسوشة أو عمر محصنة للانسان لم يكن أعضاء القديسة يسهمون لي أى عمل أو نشاط إلا احالة المشكلات والطلبات الى . وكان على أن تنتظر تفهد وعد رئيس مجلس الإدارة باعتبار المبعثات . قسما كاملا سيروده بالثمين من الموظفون أصبح أنا رئيسها ورئيس القسم . أمس أعنت الشركة على حاجتها لذلك بالصحف وما هي إلا أيام وينتفح موعد . بعدها سأستقبل من النفاية ولن يستطيع رئيس مجلس لإدارة العودة لي قرره . في الحقيقة يستطيع لو أراد لكن لا اعتقد أنه سيمعها . لا يزال الله في جانبي . ولو حدث سألغصني الشركة لأني أكون اكتسبت حق لا يمكن الرحمة فيه . أجل . سأدافع عن حقوق لأه لا قيمة للإنسان إلا م يدافع عن حقوقه ١ . وللهم الآن أن مسألة رواجي نظورت بسرعة . روت حسين في الموعود وجدت « نوال » في صياحه روحه . ما كنت أفكر كيف سأراها حتى نادى زوجته وسأله .

— ماذا لا نجسد معا ؟ .

نسمت ونصرفت لتعيد بعد دقيقة واحدة تحمل طفا من الصبي ربه من قبل فوقه الموز ورائل خلعتها . صاحسى

هل يصدق أحد أن هذه أولى مرة أصالعه فتاة ؟ عمرى الآن خمسة وثلاثين سنة . صالحتي رميلات كثيرات وجازات لأنى في الجبر ، وكلهم لم يكن نساء ولا كنت رجلا . يد « نوال » دافعة ترتعش ويدي باردة كالثلج . ووفعت وجهي لأرى وجه التى صارت تنظر الى الأرض . صغيرة كقطعة جلست ضامة وكتبتها وساقها . حلالية نور كما قال ماجد يوما عن فتاة القاهرة ، ولا تكف أهدايا الصديقة عن الإزعاش لأبد تشعر بنظرائي . لأبد تعرف غرضي . ومن يدري ربما تنظر الى بطريفة ما هي الأخرى . هل يكون عام ١٩٨٠ هذا حاسما في حياتي ..

في العمل . في البيت . في الطريق . في دارلى لحسين . في جسداني منفردا مع نوال في إحدى حجرات بيتنا نلمع أمامي فجأة فكرة وتختص شيء أريد أن أتذكره ولا أستطيع .

— جئنا لحصل بك .

قال حسين وهو يفتح ذراعيه على اتساعهما ويأخذني في أحصانه . كنا نينا الأحصاء ، وكنت سمعت جرس الباب يدق متواليا بطريقة جعلتني اتصور أنه الأسطى زنيهم جاء ودمه مشكفة ، وصممت لو رأته أضربه ولو استطعت ألقى به ومن معه من الشرطة . لكنني وجدت حسين وماجد يحلف الباب . استضئت ماجد أكثر من مرة وأسهرت احضر مقعدين من المقاعد القديمة التى مستعير خلال أيام إلا أن ماجد قال :

— نذهب الى المقهى . المقهى أفضل .

أدركت أني لاحظت شعرات بيضاء قليلة تناثرت وسط شعره الأسود اللامع . وقفت وسط الصالة ولم أحضر المقعدين شئني ماجد وأنا في منتصف المسافة . ما سر هذه المقهى الصغيرة الخالية القائمة على طريق لا

مجان نزع فوقه سيارات مجنونة ؟ لدى الكثير أود الحديث فيه مع كليهما . كيف سشترى الثلاثة أنا ونوال . كيف سشترى البوتاجاز كيف سشترى المصبي وأدوات المطبخ ووقع احبائنا على اثاث جميل متواضع سشتره بعد أيام نقدا كله إذ سأسحب مدخراتي التي عادت لتصل الى الألف بعد أن كانت قصصت بسبب الدعاية الانتخابية ، وكيف أن أبا نوال وأخوتها سيسامون بألف جنيه ، وكيف لم أجد الوقت لأمر على ماجد لدعوه حضور عقد الفراق لدى اقترابي ، وأني لم أكن لأسوي ذلك مهما شغلت ، وكيف لم أقم حملا للخطوبة واكتفينا بلبس الدبنتين بيد أسرة نوال ، ولكن في عهد القران لهد أن تحضر العائلتان ، عائلة نوال وعائلتي ، وعائلتي هي أنت ومامجد وحسين ولا يتقصها إلا عهد السلام .

هذا حديث لا تتسع له المقهى بمامجد فلماذا تريدنا أن ننصرف ؟ لقد وجدت نوال هادئة حنونا . أريد أن أحدثك كيف قبلنا لأول مرة وجففت ، ثم كيف روضتها فصارت تخشى ، الآن في صدرى كمصنوع وتكاد ذراعاى تخفيانها تحتها . ها نحن نذهب إلى المقهى وندخل في حديثنا المكرور .

— هل هذا ديسمبر حقا ؟

تساءلت ويتسم حسنى وقال .

— ها . أنت نرى الأيام مختلفة .

ابتسمت وقال ماجد .

— من يرى هذا الشهر لا يصور أن هذه هي الاسكندرية . ديسمبر الماضي لم ينقطع فيه انظر وأخذ يامر معه . الاسكندرية صارت مجنونة — وصحبت — أحياء متزوج باشجرة .

وألقي بقطعتي الزهر فخرجتا لملمى فحل الطويلة . لمعت الفكرة التي تراوحي ولا أدركها ، والتي تدفسي الى محاولة تذكر شيء نسيته . أشعلت

سجاريه ويستم وأنا أهرط طعنى الزهر داخل يدي .

— مالك ؟

تساءل ماجد الذى قفل الى صحنى واشعال بالنى

— تخيت لو أن أمى كانت حية .

ودخرجت الزهرين أمامى واستلقت يدي تنعب . لا أدري ما اندى جعلنى أقول ذلك . ومد حسين يده بربت على كمنى وصار وجهه أحمر وحاطب ماجد ربما ليعبر المصروع .

— رأيت بيت الياهمى ؟ لقد خُدم وأصبح مكانه أرضا صماء .

انتفض قلبى . طال الرمس الذى لم أمر فيه من الشارع ولا أدري .. قلماى تعودنا على المجران . ونابعت حركة الزهرين خلفهما ماجد .

— رأيتاه في الطريق البك . طبعاً تعرفه ؟ ..

خاطبى حسين هذه المرة . إذن يعرف حكاية بيت الياهمى ، ويعرفها ماجد ، ويعرفها الأسكندرية كلها كما قال عهد السلام . أردت التبرج . قلت :

— لو تزوج ماجد ، وعاد عهد السلام وتزوج ، لأصبح لنا جميعا أولاد يكبرون معا .

— الله . الله . جميل . تصلح حسن الإمام .

هتف حسين فضحكنا جميعا بصخب ومن القلب كما كنا فعل من قبل إلا أن الصمت عاد يوسع فوقنا أكثر من مرة . وفاجأنا ماجد .

— لا حسي ولا خير من الأمريكية .

نظرت إلى حركة الزهر . أحسست بتطورات حسين التي . ك نسيب الأمريكية وحكايتها مع ماجد .

— للدكتور موسى يرسل لى عطايات كثيرة يغري بالسعر . افكر ندبا أن أخق به في الكويت .

لم بعد بمكاً التعامل عما يقوله ماجد الآن . أمسك الزهريين في يده  
وكف عن التعب ينتظر ما تعلقا . أدت أن أتكلّم فوجدتني سأصرح .  
ظرت لي حسين الذي ينظر الى عمر الوجه . نظرت الى ماجد فوجدته  
متجهما ، وأخرج لنا من جيبه رسالة قال أنها من عبد السلام ..

\*\*\*

وقد كنت أطرب بين إيران والعراق كما تعلمون . لابد أنكم تقرؤون  
الصحف أو تسمعون الأخبار من الراديو والتليفزيون . لا أصدق أنكم  
مشغوبون إلى درجة عدم الكتابة التي كل هذا الوقت . لا تفسير هندي إلا  
أنكم لفرغم . إذا كان ذلك فتسبب في الضيق لكل منكم في حياته  
الجديدة . ومن يدري . ربما لا يكون لديكم الوقت فعلا . المهم . لابد  
أنكم تعرفون أن لي خبرة كبيرة بحرب . يبدو أنها قدرتي . غنقى الله  
وفار يا عبد السلام كس محاربا . لي عندي إذن في كل مكان ولا أدري . ولا  
أدري حتى الآن من هو عدوي بالضبط . المتركب في محارب شجاع . هذا  
يكفي لأحوص أي حرب . أشجع محارب أنا في الشرق الأوسط ، وإذا لم  
توجد حرب فعلى أن أشعبها . أشجع محارب أنا في العالم . لقد تطرعت  
لمحرب في صفوف العراقيين . لا تدهشوا . أعرف أن الناس يحسبون  
لتجميع الأموال وتعود . أنا لست كسائر الناس . أنا مختلف عن سائر  
الناس . أن محارب أولا وأخير لذلك تطردني الحرب أبنا كنت . أجل .  
لا يجب أبدا أن تكون سنوات عمري المصونة حلوة ؟ . هذا غشري فهل  
أعدده وأصبح مثل سائر الناس ؟ أعرف جيدا أني إذا أسرت سيخترني  
الإيرانيين مرتزقا ويقتولوني ، وإذا مت سيخترني العراقيون شهيدا  
ويجندوني . أعرف هذا وظلك وأراح اليها . يصابقني أني لا أعرف ماذا  
سأقولون عني ؟ . ماذا سيفعل عني الوطن ؟ لو سأخونني لقلت أني لا  
أحب الموت ، ولا أريد المجد ، لكن محذرة ، للسألة أنكم يهدون عني ،  
كما أني لا أعلم حتى الآن ما هو الوطني بالضبط .

حدثت لي متري بعد السهرة أفكر فيما يريد عبد السلام ما لو يعمله  
بنا . رادوني الخنث أن أعود من الشارع القديم وأرى بيت الياسمين وقد  
تهدم إلا أني لم أستطع . أرخت رسالة عبد السلام ظلها الثقيل فوق ما  
هو الوطن بالضبط ؟ .

فكرت لأول مرة جادا أن أكتب اليه فكرة لغت و دعني أردت أن  
أعبر عنها . لو مت يا عبد السلام لن أدوق طعام الرحمة . موصول أن بيت  
يحمل مري . الناس تسافر لتجمع الأموال وتعود حقا لكن لتزوج وتستقر .  
كذبت تقولها يا عبد السلام . يصبح للناس وطن وهو صغير ، أجل ،  
الزواج هو الوطن ، والناس هي التي تصنع الوطن . وأنا بعد أصابع  
سأزوج ويصبح لي وطني . آه يا عبد السلام كم أن كذاب . جعلتني  
أسأل الآن عما مصي من عمري . كيف كنت فيها . أين كان الوطن  
من قبل ؟ . ليس الزواج وطننا وحده أبدا ... لن أكتب اليك يا صديقي .

وكان الليل قد أخذ يتصطف ، ومطر خفيف يساقط .

## الختام

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/v>

وقفت في الشرفة أملأ همتي بالبحر الذي استيقظ مبكراً معي اليوم  
ودعاني أنظر إليه . مريح ومرتاح دائماً هذا البحر لا يحزن ولا يفرح لأحد .  
ليس فوقه الآن غر سفينه وحيدة في مدى البصر فيبدو بحق سيد الكون .  
قلت يا بحر سأعلم ابني فيك السباحة في الشتاء الذي هو قادم فيه . من  
يومه الأول سأواجهه بالموج فليس أمامنا إلا زمن صديء . وقلت يا ولدي  
اقرأ كتاب هذا خُصِفَ الكثير عن أبيك ولا تلمني . لم تكن قصتي قصة  
زواج غلط وإلا فهي مهزله كبير . فش عما عباة في زواياها من الغاز .  
أسهل ما فعلته هو زواجي من أمك الخالسة ... لا تنسى أن أبي -  
بحبك - وضع يده في فأكوت بعد عشرين سنة ، أما أنت فشئ مختلف .  
بلدت عوفي فأعلنت عن الحضور من أول يوم . كأنك كنت قابعا و  
ركن خفي في هذا الكون تنتظر القفز في الظلام . كأنك كنت جالسا  
عند قلبي الله ما أن وضعت يديك حتى انتفضت واقفا تكاد تفجر  
بطن أمك . لا تنس ذلك أبدا ، ولتظل تدرك أنك مختلف عني رغم أنك  
من اشتغال رأسي ، ولا تكن مثلي .... يعني أنك لولدت صالح . إذكروني

ولا تلعنى . هذا بيت من بيت بعته غصبا فرما كان حراما . هذا أثاث  
من مال فيه الغصب أيضا إقرأ تعلم ولا تلعنى . الصحيح والمؤكد أنك  
حلال كلك . ولا نسل كيف استطاع أبوك أن يحفظ عقله ولا يصيه  
جنون .

وقعزت في الهواء وعدت داخلًا إلى حجرة المطبخ حيث تقف نوال  
مكورة البطن تعد الإفطار شهيا .

— تنفسي هذا الهواء .

كورت كفى أمامها متجاوزتين كمن يحمل فيهما ماء . نظرت إلى  
بدهشة ثم ضحكت وتراجعت .

— تنفسي هذا الهواء بسرعة .

للت ركبت أضحك ورأيت عينها المسليتين تلمعان بدهشة .  
— أنت مجنون .

— أنت لا تفهمين . بسرعة .

— شجرة . عقلك يا حبيبي !

— تنفسي ، أشعرك

وقرت كفى من شغفها أكثر فلم تستطع التراجع لأن خلفها المطبخ  
الجديد الذى يزين الجدران . لا أستطيع أن أقرب بجسمى كثيرا من  
بطنها ؛ لكن يدي صارتا قريبين من شغفها .  
— بعمل .

قلت فشعقت الهواء كله الذى أحسته يتدفع من يدي حتى  
أنهما صارتا ملتحقتين . كان يراد الشئ يفتى ويرفع غطاؤه متوقفا من  
خضعت البخار فيحدث صوتا مترددا .

— لقد كلمت ابني في الشرفة

فتحت عينها إلى أقصى اتساع .

— وسمعت الكلام من القضاء في كفى وأردت أن أرسله إليه . هل  
هناك طريقة غير ما فعلت ؟ .

انطلقت تضحك بانهاج .

— مجنون بحق . ثم من أشراك أنه ولد ؟

— أعرف ذلك . وسأسميه « على » وأوصيه أن يسمى ابنه « محمد »  
ويوصى هو محمد أن يسمى ابنه « شجرة » فيكون « شجرة محمد على »  
من جديد في الجيل الثالث . وينجب شجرة ولدا يسمى على ، وينجب  
على محمد ، وينجب محمد شجرة ، وتظل الدائرة دائرة فيكرر اسمي واسم  
أبي وجدى مرة كل ثلاثة أجيال .

كانت تتأملنى متألفة بالدهشة ورفع حاجبيها

— ولماذا هذا كله ؟

تساءلت فقبلتها بسرعة على خدنها من الجانب وأعذبت أدوات الصيد  
فصت :

— الإفطار ؟ .

— أنا سعيد اليوم ولا حاجة لي بطعام .

\*\*\*

نزلت فرأيت القضاء يفتح ذراعيه ضاحكا بالصفاء ما هذا البياض  
للمشرب بالزرقعة الناعمة . ما هذا الهواء العيب الذى أكاد أقفز مناجحا  
فيه ؟ لقد تذكرت الآن . بالمسارقي وحماشي المائة جنية التى عباها  
في المرة منذ خمس سنوات هي الفكرة القائمة التى كانت تتخايل أمام  
ذهنى . هي ما كنت أريد أن أتذكره ولا أدركه هي التى قطعت على  
حديشى وصمتي . ضاعت المائة جنية إذن ولا مبرر إليها لقد بعث  
الأثاث القديم كله ليأبح رهايبها نادرا ما يأتي ناحية البحر . وحتى لو  
قابلته فلأريد أنه يباع الأثاث بدوره لتاجر أكبر . وتوقفت . ماذا لو

أفركها ؟ أصبح لي شقة بدلونها ، وتزوجت بدلونها ، وسيصبح لي ولد بدلونها أيضا . منذ عشرين سنة ضاعت مائة جنيه من أحد جوارنا فأشعلت زوجته في نفسها النار . كانت تمن قطعة أرض ورثها . في ذلك الوقت كان الكيرون يتحرون بالدي . دى . فى . جرى الزوج إلى بطانية فوق السرير وحملها ليلقيها فوق زوجته يحطنها ويلقيها بها بإحكام مجنون . لم يدر المسكين أن طفله المولود منذ شهر كان ملفوفا بالبطانية ، وأنه سقط بينهما ، وأصبح هو يقف فوقه . ولم يفهم معنى الصرخات المستعجلة لزوجته ومحاولتها التخلص منه . لم يدر أن من عينها تكاد تقفز أذرع ولباد تبعده عنها ولتلفظ ابنها . اتعد زوجته حقا لكنها عاشت تسمى لو ماتت ، وهاش هو مثلها شاردة النظرات ... يا الله . ذلك زمن سحق للمغاية . لا أحد يقتل نفسه الآن من أجل مائة جنيه . ثم أنه خطأى ولا يجب أن أفسد هذا اليوم الجميل .

مشيت فكذت أصطلم بالمقدس بحى قادمنا من الشارع القديم الذى لم أجد أمشى فيه .

— أنت ؟ . أما زلت حيا ؟ .

— مثلنا لا يموت بامتاذ شجرة . كنت قادمنا إليك .

وقفت أتأمله كيف صارت ليايه جديدة نظيفة .

— أهلا بك . أعود معك إلى البيت .

قلت أحاول التلطف به فقال :

— لا داعى . أولا أبارك لك في زواجك . تأخرت عليك لكوة

مشاغلي . ثانيا إذا كان لك أصدقاء يريدون شراء شقى فأنا ومن خدمتك . أنت شخص طيب تستحق كل خير وأنا أريد سكاكنا مثلك .

ظلمت أوأصل تأمل . يتكلم معى كأنه صديقى لجرى أنى جيلوت التلطف به . الأكثر أنه صادقى لي كلامه فقد كان قادمنا لىهأرقى حقا .

كذبت أضحك وأنا أتذكر حسنين وهو يقول عنه أنه يصلح نقييا للعمل

تحيله غارقا وسط المشاكل بحجمه الصغير المستدير . لقد كانت استغاثتى مفاجأة حول الكيرون أن يشترى عنها وخاصة الأسطى زينهم الذى قلت له أن لا يحاول الاتصال لي لأى سبب ، وكان توقعي في عمله فلم يفكر رئيس مجلس الإدارة في إلغاء قراره بحمل الملقات ، قسما صرت أنا رئيسة بما يتمتع به الرئيس من مزاي . قلت :

— هل تبنى عمارة الآن ؟

— أجل . هنا . في هذا الشارع . بيت الياحمين . لابد أنك تعرف .

إشترته وسأبنى عمارة مكانه .

كذبت أقف على أصابع قدمي . وابتعدت خطوة إلى الوراء . ها هي بهجة اليوم تكاد تقعد . وقال :

— إشترته لنفسى هذه المرة .

كان يتعم بشقة وسعادة طالعة . قلت :

— سأحاول أن أجد لك بعض الأصدقاء .

كنت أهد الإقالات منه بأى طريقة . مئات الأطنان من الحجر

والأحمت والحديد ستوضع فوق الوجه الذى ما رأيت مثله ولن أرى . ترى

أين هي صاحبة الوجه البهى الآن ؟ . هل كان يمكننا أن أتزوجها حقا ؟ ،

لا ، ليس لي الدنيا كلها أجمل من نوال . أليس كذلك ؟ ...

ومضيت . ما كذبت ابعد عنه حتى زفرت زفرة طويلة وفكرت أن أعود

بلا صيد . ما معنى أن يأتى هذا الصاعد من الألفة العفنة ويمتلك بيتا

أقدم من عمرى وعمرى كما قال عبد السلام ؟ . لكنى سرت في طريقى .

لا يجب أن يحيب إحساسى بالهواء النقى الفرحان حولي ، ولا بالفضاء

الواسع الأكبر من كل شيء ، ويمتلك بيت الياحمين كل لصوص العالم ،

فلن يوجد شخص أبدا في كآبة صاحب البيت القديم .

القاهرة

— انتهت —

١٩٨٤ — ١٩٨٥



هذه الرواية القصيرة « بيت الياسمين » أقل ما يقال عنها أنها تحفة فنية. فهي من ناحية تعيد اليأس تقاليد الأدب الصاغر ، الذي انحصر قليلاً عن فن الرواية بعد للآزني. ومن ناحية تمكن الأخطاء على حالة الجيل الذي انتصر في حوب لكتوير بعد نفسه غريباً في مجتمع يتحول بسرعة من أمثاله ، أنها الآن نموذج لروايات الجيل الضائع ، وهي من ناحية الشكل تقدم توثيقاً لم تستخدم من قبل حيث قدم الكاتب لكل فصل بلوحة ثلاثة صفحات تماماً مع لغة الفصل نفسه. وتوسع في دلالة الرواية ، إنها بالاختصار بللورة سحرية بتظرة واحدة تكشف لك عشرات الصور .

أسرار جفينة

دار ومطابع المستقبل بالفجالة والاسكندرية

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>